الكتاب الأول من سلسلة

رسائل ومقالات

محمود محمد طه

الاهـــــداء :ـ

الـــذين تطـــربهم الكلمـــة الصـــادقة ،
والـــذين يســـتهويهم القـــول الثـــابت ،
لهـؤلاء واولئـــك يهـدى هـــذا الكتـــاب ،
رجـاء ان يجعلهم الله « مـع الصـــادقين » ،
وان يثبتهـم الله « بالقـــول الثابت » ٠٠

بعض موضـــوعات هـــذا الكتـــاب

❊ التربية بين السياسة والعلم ايضا مع الاستاذ احمد لطفى السيد

❊ فى النقد كتاب الاســتاذ خالد محمد خالد « مـــن هنا ٠٠ نبدأ »

❊ خطـــاب الى اللـــواء محـــمد نجيب

❊ تعقيب علـــى تعليق الدكتور محمـــد النويهى

❊ القوانين الوضعية والقوانين السماوية تعقيب على اللواء محمد نجيب

❊ اعـــداد الانســـان الحـــر
خطـــاب الى الدكتور توريز بـــوديت
مـــدير عـــام منظمـــة اليونســـكو

❊ خطـــاب الى المحامى العـــام فى الباكستان بشـــأن دستور الباكستان والقـــرآن

❊ هل انصرف المسلمون عن تقاليدهم تعقيب علـــى الدكتور طه حسين

❊ مشاكل التربية الاساسية فى الشرق الاوسط تعقيب علـــى البروفسير جاك بيرك

❊ شجرة الزيتون تعقيب علـــى الاستاذ الجليل عباس محمود العقاد

❊ حـــول راى شيخ الازهر فى الوصول الى القمر

أفى الله شـــك ؟

❊ رد على الكاتب الشيوعى باكتسكى بابوشى

❊ الادب رد على الاستاذ ميخائيل نعيمه

❊ الاله ٠٠ تعقيب على الاستاذ الجليل عباس محمود العقاد

بســــم الله الرحمــــن الرحيــــم

« فتعالى الله ، الملك ، الحق ، ولا تعجل بالقرآن ، من قبل ان يقضى اليك وحيه ٠٠ وقل رب زدنى علما ٠٠ »

صدق الله العظيم

مقـــدمة

هذا كتاب : « رسائل ومقالات » ، الكتاب الأول ٠٠ وهو كتاب يفتتح سلسلة جديدة ، تسير موازية لسلسلة اسئلة واجوبة ، التى صدر منها ، حتى الآن ، الكتاب الأول ، والكتاب الثانى ٠٠

هذا الكتاب « رسائل ومقالات » الكتاب الاول — يحوى رسائل جرت منا الى بعض الفضلاء من المفكرين ، الغربيين منهم والشرقيين ، ويحوى ايضا مقالات دارت حول بعض أفكار هؤلاء السادة ، وسواهم ممن تبلغنا افكارهم ، وآراؤهم ٠٠

هناك مقالة انعقدت على مناقشة رأى للاستاذ احمد لطفى السيد فى يناير من عام ١٩٥١ ٠٠ واخرى فى مناقشة الاستاذ خالد محمد خالد ، فى كتابه « من هنا ٠٠ نبدأ » ، صدرت فى مارس عام ١٩٥١ ٠٠ كما ان هناك خطابا كتب للواء محمد نجيب ، يوم ١٨ أغسطس من عام ١٩٥٢ ، ولم يمض يومئذ على ثورتهم بالملك السابق « فاروق » الا ما يزيد قليلا عن ثلاثة الأسابيع ٠٠ ولقد كان هذا الخطاب يحمل رأينا عن ثورة الجيش المصرى بالملك السابق ٠٠

ان جميع الأفكار ، والآراء ، التى تحملها هذه الرسائل والمقالات ، منذ عام ١٩٥١ ، والى اليوم ، يمكن ان تكتب اليوم ، من غير تبديل فيها ، ولا تحوير ٠٠ لم يفعل الزمن فيها شيئا جديدا يضطرنا الى تعديل او تبديل ٠٠ وهذه ظاهرة ملازمة « للدعوة الاسلامية الجديدة » ٠٠ فانها ،

لما كانت تستمد من نور التوحيد ، لم يحدث فيها تعارض ، ولا تناقض ، وانما هو الاتساق ، والانسجام ، فى ظل التوحيد الضابط ، وتحت راية الوحدة المهيمنة ٠٠ وذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ٠٠ ان من يطلع على هـذه الرسائل والمقالات من الاخوان القراء مدعو الى ان يلقى بالا الى هذه الظاهرة الهامة ، وان قيمة هذا الكتاب انما تنبع منها ٠٠

الله اسأل ان يهب الاخوان القراء متعة متابعة الاتساق ، فى الفكـر ، الذى ينظم جميع هذه الرسائل والمقالات فى نفس السلك الذى نظم جميع الأفكار التى اشتملت عليها جميع الكتب التى صدرت منا عن « الدعـوة الاسلامية الجـديدة » وذلك خلال ما يربو علـى العشرين عاما ٠٠ انه سميع مجيب ٠٠

التربية بين السياسة والعلم أيضا
مع الأستاذ أحمد لطفى السيد

السبت ٢٧ يناير ١٩٥١

حضرة صاحب جريدة الشعب :

اطلعت بعددكم السادس على الكلمة التى كتبها لكم « مربى الجيل » لطفى السيد باشا عن « التربية بين السياسة والعلم » ، وقد خطر لى أن اعقب بما يأتى :

نظامان اجتماعيان قائمان الآن هما خلاصة تراث الانسانية فى عمرها الطويل •• الشيوعية والديمقراطية ، وهما يشطران العالم اليوم الى معسكرين الشرقى والغربى •• وهذان المعسكران لا يكادان يتهادنان •• وحياة الناس ، من جرائهما ، فى قلق متصل وبلبلة منكرة •• ولقد يبدو للمراقب ان هذين النظامين يقومان على النقيض •• بل لقد ظن بعض المفكرين ان أحد هذين المعسكرين يمثل العدالة الأجتماعية ، والآخر يمثل الحرية •• والذى لا شك فيه ان الشيوعية تمثل العدالة الاجتماعية وتهدر حق الفرد فى الحرية الفردية المطلقة ، فتخضعه ، اخضاعا تاما ، لمصلحة الجماعة والذى لا شك فيه أيضا ان الديمقراطية لا تمثل الحرية ، ولا تمثل العدالة الأجتماعية •• فهى تحاول التوفيق بين حاجة الفرد الى الحرية المطلقة ، وحاجة الجماعة الى العدالة الاجتماعية ، فلم تبلغ فى ذلك طائلا •• ولن تنتهى هذه الحالة المؤلمه ، التى يعيش الناس فيها ، الا اذا تم التوفيق بين العدالة الاجتماعية ، والحرية ، فى نظام واحد ، يخضع له العالم اجمع ••

والعدالة الاجتماعية وسيلة الى الحرية الفردية المطلقة ــ أعنى المطلقة ــ وليست بديلا عنها ، كما ظن فلاسفة الشيوعية •• والحرية المطلقة هى الوسيلة الوحيدة التى بها يحقق كل انسان انسانيته •• فالتوفيق بين العدالة الاجتماعية ، والحرية الفردية المطلقة ، هى الفلسفة التى يقف العالم اليوم فى حاجة شديدة اليها •• وهى حاجة لم يكن له بها سابق عهد ••

ومسألة التوفيق بين العدالة الاجتماعية ، والحرية الفردية المطلقة ، هى قضية التربية •• وهى ، بعد كل ما يقال ، ليست اكثر ، ولا اقل ، من تنسيق ما هو وسيلة (المجتمع الصالح) مع ما هو غاية (الفرد السعيد)

والعالم اليوم لا ينقصه الجد ، ولا تنقصه الرغبة فى « تحقيق مبادىء الحق والعدل •• » وانما تنقصه المعرفة بطرائق تلك المبادىء •• بل ليس للعالم : منذ اليوم معدى عن طريق الحق والعدل •• فان جميع القوى قد تضافرت على اعداده لسلوك ذلك الطريق •• فقد صار هذا الكوكب الذى نعيش فيه وحدة ربطت وسائل العلم بين اجزائه ، حتى لقد اصبح اى حادث ذى خطر فى اى جزء من اجزائه ، وان قل خطره ، يؤثر على سير الحوادث ، وفرص الحياة فى سائره ••

ما هى حاجة العالم اليوم ؟؟ حكومة عالمية ، توحد الانسانية ، تحت قانون واحد ، ينظم علائق الافراد ، والجماعات ، على هدى العلم ، وعواطف المرحمة ، ووشائج القربى ، بين افراد الاسرة البشرية ، كما ينظم قانون الحق والعدل علائق الكواكب والنجوم الدائرة فى مداراتها ، وافلاكها الرهيبة ، فان الأحياء ، على هذا الكوكب الذى نعيش فيه ، كالأجرام السماوية ، لن يستقيم لهم امرهم الا اذا خضعوا لقانون واحد ، والا اذا داروا حول مركز واحد ••

وسيقول قائل فمن أين للبشرية بهذا القانون ؟؟ وسأقول ان هذا القانون هو

القرآن ٠٠ واريد ان اكــون مفهوما !! فانى لا اعنى بهـــذا القانون التشريع الاسلامى الذى يلوكه فقهاء المسلمين اليوم ، فان ذلك تشريع قدكان له يومه ، ولقدكانت له مجموعته ، وقدخدم اغراضه ٠٠ خدمهاحتى استنفدها ٠٠ فلم يبق أمامنا الآن الا استخلاص ما لا يزال منه صالحا لمجموعتنا الحاضرة ، ثم المضى فى اتمام التشريع على هدى القــرآن ٠٠

واريد أن أكون مفهوما ايضا !! فانى لا أعنى « بالتشريع الاسلامى » الا ما يتعلق منه بالعادات دون العبادات ٠٠ ثم اريد أن أكون مفهوما للمرة الثـــالثة !! فــانى لا أعنى « بمجمـــوعتنا الحــاضرة » مجمـــوعة وطنية ، ولا مجموعة عنصرية ، وانما هى الأنسانية حيث وجدت ٠٠

وهناك شىء أريد ان اصرف اذهان السودانيين عنه ، فان الباشا قــد ختم كلمته بقوله : « فالنصيحة العملية انكم فى السودان تسلكون السبيل المطروق الآن ، حتى يتبين ان المذهب السياسى الجديد الذى ينبغى ان ترمى اليه التربية محقق بالفعل » ٠٠ وتلك نصيحة مؤسفة ، لدلالتها على فقدان قادة المسلمين الثقة فى انفسهم ، وتعليقهم كل رجاء لهم فى الخلاص بالغرب ، وازماعهم السير فى ركابه على (سبيله المطروق) ، حتى ولــو ادى به ذلك السبيل الى التردى فى الهاوية ٠٠

انا زعيم بأن الأســلام هو قبلة العــالم منذ اليوم ٠٠ وان القرآن هو قانونه ٠٠ وان السودان ، اذ يقــدم ذلك القانون فى صــورته العملية ، المحققة للتوفيق بين حاجة الجماعة الى الامن ، وحاجة الفرد الى الحرية المطلقة ، هو مركز دائرة الوجود على هذا الكوكب ٠٠ ولا يهولن احــدا هذا القول ، لكون السودان جاهلا ، خاملا ، صغيرا ، فان عناية الله قــد حفظت على أهله مـــن اصايل الطبائع مــا سيجعلهم نقطة التقاء أسباب الارض ، باسباب السماء ٠٠

وما الذى آريد ان أصرف اذهان السودانيين اليه ، حين اصرفهم عن نصيحة الباشا ؟؟ جددوا الثقة بربكم ، فاستعيدوا الثقة بأنفسكم .. ثم أقبلوا على كتابكم ــ كتاب الأجيال ــ بعقول مبرأة من اوضار الجهالات، واعلموا أن اكرم شىء عند ربكم حرية الفكر المخلص ، ثم اضربوا بعصاكم معتكر الظلام ، ينفرج عن مهيع الحق الابلج .. لكم فى ذلكم مفازة ، وللعالم فيه منجى .

محمود محمد طه

جريدة الشعب

خطاب الى اللواء محمد نجيب

في يوم ١٩٥٢/٨/١٨

الأخ الكريم اللواء محمد نجيب

تحية مباركة ..

اما بعد فان مسألة خلع الملك عن العرش ، بالطريقة التى تمت بها ، توفيق كبير .. ولكن ينبغى الا تحمل أكثر مما تحمل من دلائل النجاح ، وانما يجب أن ينظر اليها على أنها مسألة لها ما بعدها .. وسيكون الحكم لها ، أو عليها ، على ضوء ما يحصل عليه العهد الجديد من نجاح ، أو من اخفاق .. وانه لحق ان العهد القديم قد بلغ من الفساد حدا يكاد يجعل أى عهد يأتى بعده ، مهما كان حظه من الأصلاح ضئيلا ، عهدا مقبولا .. ولكنه حق ايضا ان الملك السابق ، رغم فساد حكمه ، قد كان عامل استقرار ضد الفوضى .. وسيكون هذا الانقلاب شرا على مصر ان استجر بها الى عدم الاستقرار .. والحزم يقضى بالا تستبعد هذا الاحتمال ، بدافع من التفاؤل ، وحسن الظن .. ذلك بأن هذا الانقلاب ثورة .. وفى كل ثورة قدر من التفريط ، والأفراط ، يتداعى بامور الناس الى الفوضى ، فى يسر ، وسرعة ، وهم لا يشعرون .. ولا يدرأ عن مصر سوء المنقلب الا أمران : الحزم ، والفهم .. اما الحزم فيقضى بأن تتولى كل أمور مصر بنفسك وان تكون ، فى غير مواربة ، ولا رياء ، المسئول الاول والأخير ، امام الشعب المصرى ، وامام العالم اجمع ، عن استقرار العهد الجديد فى البلاد ..

وان تستخدم ، مــن الساسة مــن شئت ، ومن الخبراء ، والفنيين ، المصريين والأجانب ، من استطعت .. علــى ان يكونوا مستشارين ، واعوانا ، ومنفذين ، مسئولين امامك انت ، وتحاسب انت علــى سيئات اعمالهم ، اكثر مما يحاسبون .. ولا تخافن اسم « الدكتاتور » ، ان كنت تقدر على ان تكون « دكتاتورا » مصــلحا .. فان عيب « الدكتاتورية » ليس فى ذاتها ، وانما هو فى اعمالها .. فان أحسنت ، فهى خير وسائل حكم عهــود الانقلاب .. وهى خير وسائل الحكومات لدى الشـــعوب المتأخرة ، على كل حال ..

وأما الفهم فيقضى بأن تكون لك رسالة تبلغها الشــعب ، وتأخذه بها ، وتجعــل كل مرافق الحياة الاقتصـــادية ، والاجتماعية ، وســيلة الى بلوغها .. وأعلم ان الشعب لا ينصلح بمجرد توفير الرخاء المادى ، ذلك بأن الانسان لا يعيش بالرغيف وحده ، كما يظن الشيوعيون .. وانمــا يعيش بالرغيف وشىء وراءه ، اهم منه ، هو القيم الروحية التى تطهــر القلب ، وتصفى الذهن ، وتسمو بالاخلاق .. وانت رجل مسلم ، مــن شعب مسلم ، قد ضل الطريق الى المناهل التى ارتوى منها أوائله ، فعب من الكدر الآسن ما قعد به عن رحاب الحياة السعيدة .. فهل فكرت فى رد التطيع الضال الى المهيع الأفيح مــن شريعة القرآن ، واخـــلاق القرآن ؟؟ هل فكرت ان تقـــوم بانقلاب فى مناهج التعليم ، ومرافــق الصحة ، ووسائل التغذية ، واساليب السكن ، علــى هـــدى الدستور الأزلى ، القرآن ؟؟ .. والفساد فى مصر ليس سببه الملك ، وليس سببه الساسة ، والأعوان ، الذين تعاونوا مع الملك .. بل ان الملك ، واعوانه ، هم ، انفسهم ، ضحايا لا يملكون ان يمتنعوا عن الفساد ، أو ان يدفعوه عنهم .. فان أردت ان تلتمس أسباب الفساد ، فالتمسها فى هذه الحياة المصرية ، فى جميع طبقاتهــا ، وجميع اقاليمها ، تلــك الحياة التى اقامت

اخلاقها ، اما على قشور الأسلام ، او على قشور المدنية الغربية ، أو على مزاج منهما •• وأنت لن تصلح مصر ، أو تدفع عنها الفساد ، الا اذا رددتها الى اصول الأخلاق ، حيث يكون ضمير كل رجل عليه رقيبا ••

من انت ؟؟ هل انت صاحب رسالة فى الاصلاح فتسير بشعب مصر الى منازل التشريف ؟؟ ام هل انت رجل حانق ، جاء به ظرف عابر ؛ ليقلب نظاما فاسدا ، ثم يضرب ذات اليمين ، وذات الشمال ، حتى ينتهى به المطاف ، اما الى الخير ، واما الى الشر ؟؟

ذلك هو السؤال الذى يترقب التاريخ جوابه •• فانظر حيث تجعل نفسك •• فانك رجل مجازى بالاحسان ، مأخوذ بالاجترام ••

وشىء آخر ، نحب ان نشير اليه ، هو علاقة مصر بالسودان ، فانها قامت ، ولا تزال تقوم ، على فهم سىء •• فان انت استقبلتها بعقل القوى فتستطيع ان تبرئها مما تتسم به الآن من المطمع المستخفى ، والعطف المستعلن ، فان السودانيين قوم يؤذيهم ان يطمع طامع فيما يحمون ، كما يؤذيهم أن يبالغ فى العطف عليهم العاطفون ••

محمود محمد طه

في النقد

كتاب الأستاذ خالد محمد خالد

من هنا .. نبدا

جريدة « الرأى العام » ٢/٣/ سنة ١٩٥١ م

الكلمة الأخيرة فى الاسلام لم تقل بعد ٠٠ ولا يتعلق الأمل فى تحقيقها الا بحرية الفكر فى معالجة أصوله ٠٠ ولست أعنى بحرية الفكر اسماح الجماعة لكل خائض أن يخوض من غير رقابة عليه ولا اعتراض ، وانما أعنى تحرر الفكر المتصدى لمعالجة تلك الاصول من أوهام الحواس تلك التى جعلت عقول الناس حبيسة قماقم من الظلام لا ينفذ اليها النور ٠٠ والخوض فى أصل الدين سير فى الوادى المقدس ، تخلع فيه النعـلان ، وتواصل فيه التلبية ، ويستشعر عنده الخشوع ٠٠ فاذا دخله الذين لا يرجون له وقارا فانتظر بوائق الشرور وجوائح الفتن ٠٠ وقـد دخله صاحب « من هنا نبدأ » بجرأة لا يملكها العارفون ٠٠

لم يتفق لى أن أقرأ هذا الكتاب ، ولكـن الأسـتاذ « ن » ، صاحب سوانح فى « الرأى العام » قد استعرضه أخيرا استعراضا وضع بين يدى من نصوص المؤلف ما فيه الكفاية ٠٠ ويبدو لى أن أهم ما فى الكتاب مسألة « الدين و الدولة » ٠٠ وهى مسألة تاريخية ٠٠ ورأى المؤلف فيها رأى خاطىء ٠٠ ولكنه رأى شـائع بين المفكرين الـذين لم يهتدوا الى حقائق الاسلام ٠٠ وخلاصة رأى المؤلف فى هذه المسألة هى أنه يرى فى الحكومات الدينية تجربة فاشلة ٠٠ ولكن ما هى الحكومات الدينية عنده ؟؟

الحكومة الدينية •

ان الحكومة الدينية التى ينتقدها انما هى تلك التى تعتمد على سلطة مبهمة ، غامضة ، ولا تقوم على أسس دستورية ، واضحة ، تحدد تبعاتها والتزاماتها ، حيال الشعب ، كما هو شأن الحكومات القومية ، وتلك التى تمنح نفسها قداسة زائفة ، وعصمة مدعاة •• ثم هو يمضى فى ذلك حتى يتضح انه انما يعنى حكومة الحجاز ، وأضرابها ، من الحكومات العربية المعاصرة •• ونحن نقول للمؤلف : ان هذه ليست حكومات دينية ، وانما هى حكومات تتمسح بالدين لتستغل جهل الجاهلين •• وسبيل العارفين أن يكشفوا زيفها ، ويسموها باسمها ، ويبرئوا الدين منها ، لا أن يصموه بنقائصها ، ومخازيها ••

ان الخلفاء أربعة : محمد ، وابوبكر ، وعمر ، وعثمان •• والحكومات الدينية انما هى تلك التى كانت على عهدهم •• ولقد كانوا ، وكان الناس تبعا لهم ، يطلبون الأخرى بحسن العمل فى الدنيا •• وحسن العمل هو افشاء السلام ، واشاعة المحبة والخير بين الناس ، والجد باخلاص فى اصلاح امورهم ، والمساواة بينهم ، واقامة العدل ، ونشر الحق ، والخير بين سائرهم ، والسعى للكسب من الوجوه المشروعة ، ثم أخذ ما تحتاجه مما تكسب ، والعود بما يزيد عن الحاجة على محاويج المسلمين •• فكم مرة فى حياة محمد نزل ابو بكر عن ماله جميعه ، وكم مرة نزل عمر عن جزء كبير منه •• وكذلك فعل عثمان ، وكذلك فعل عبد الرحمن •• وكان ابوبكر ، وعمر ، حين استخلفا ، وانشغلا بتدبير امور المسلمين عن الكسب ، لا يأخذان من مال المسلمين لمعاشهما الا ما يأخذه الرجل منهم •• ولما كان الناس ، وحكامهم ، يطلبون غرضا واحدا هو وجه الله ، بعمل واحد هو الصالحات ، لم يكن فرق بين عمل الحكومات وعمل الرعية ، الا تصريف الامور العامة الذى تفرد به الخليفة ، وكانت

كلمته فيه ، فى كثير من الأوقات ، الكلمة الأخيرة ٠٠ وكان الناس ، مع ذلك ، لا يألونه نصحا ، ولا يترددون فى الاعتراض عليه ، ولا يتهيبون نقده ٠٠ وكان هو لا يستكبر على الحق ، ولا يستنكف ان ينزل على رأى أقلهم ، حين يكون صوابا ٠٠

انحطاط الحكومة الدينية ٠

هذه هى الحكومات الدينية ٠٠ ولقد ظلت على هذا الذى وصفنا على عهد محمد ، وعلى عهد أبى بكر ، وعلى عهد عمر ، وعلى الصدر الأول من عهد عثمان ، حتى اذا كانت اخريات ايام عثمان أخذ الافتتان بمباهج الدنيا يدب الى القلوب دبيبا خفيا ، فيفسد صفاءها ويصدع سلامتها ٠٠ فلما قضى عهد عثمان ، أو قل لما قضى اصطراع المطامع على عثمان ، وعهد عثمان ، خلص الأمر الى على ومعاوية ، فاحتربا عليه فكان أحدهما يريد الآخرة ، دأب أصحابه الذين تقدموه ٠٠ والآخر يريد الدنيا ٠٠ وعرف الناس على عهدهما خلافتين ، احداهما بالكوفة ، والأخرى بدمشق ٠٠ حتى اذا قتل على ، وانفرد معاوية بالأمر ، كان ذلك ايذانا بهزيمة الدين وانتصار الدنيا ٠٠ ثم لم يزل الناس ، من بعدها ، يعظمون من أمر الدنيا ، ويحقرون من أمر الآخرة ، حتى انتهى بهم المطاف الى عكس الامر الأول ، فصاروا يطلبون الدنيا بعمل الآخرة كما هى الحال اليوم ٠٠ فهل يقال ان الدين حط المسلمين ، ام يقال ان المسلمين انسلخوا عن الدين فانحطوا ؟؟ وكما انحط الرجل المسلم من مقامه الأول الى مقام اليوم ، انحطت الحكومات الدينية من مقامها الأول الى مقامها اليوم ، ولنفس السبب ، وهو أنها ليست من الدين فى شىء ، قليل ولا كثير ٠٠

وهذه الحكومات نفسها ، فى أول عهدها بالأنحطاط حين أعطت الصدارة فيها لشئون الدنيا ، ولم تتخل عن الدين بعد ، كانت أرقى

حكومات عالمها ، بدون منازع •• فقارن ، ان شئت ، بين حكــومات بنى أمية التى افترعهــا معاوية ، وكان من حكامها عبــد الملك ، والــوليد ، وسليمان ، وعمر ، ثم حكومات بنى العباس التى افترعها السفاح ، وكان من حكامها المنصور ، والمهدى ، والرشيد ، والمأمون ، والمعتصم ، وبين حكومات العالم على عهدهم ، ثم جئنى بمثلها ، ان اســتطعت •• فان لم تستطع فكيف طوعت لك نفسك ان تقول ان تجربة الحكومات الــدينية فاشلة ؟؟

الحكومة الدينية عندنا وعندهم •

وحين أرى ان الحكومات الدينية لم تكن الا علــى عهد محمد ، وابى بكر ، وعمر ، وعثمان ، ثم بدأت من بعدهم تتخلى قليلا قليلا عن هــذا الاسم يرى الاستاذ المؤلف : « ان نجاح بعض الحكومات الدينية فى عهد عمر وابى بكر وعمر بن عبد العزيز انما يرجع الى الكفايات الشخصية فى هذا النفر » ••

وهذا هو أس البلاء الــذى جعل المؤلف يفــرق بين الدين والدولة ، ويتحدث عن الحكومات الدينية ، وما يسميه بالحكومات القومية ، وعن رجل الدين ، ورجل الدولة •• وعلى هذا النحو يفرق المؤلف بين الدين والكفايات الشخصية ••

وما هو الدين ان لم يكن الباعث للكفايات الشخصية ، والمتمم لهــا ؟؟ وهل جاء عمر بالكفاية الشخصية من حياته فى الجاهلية ، وهل جاء بهــا أبو بكر ؟؟

نعم ان الناس معادن ، كمعادن الذهب والفضة ، وما الدين الا مصهرة يذهب عن المعادن الشوائب والأدران ، فلو نزل الدين علــى رجل معدنه

من نحاس لماجعل منه رجلا معدنه من ذهب •• ولقد نزل الدين على عبد الله بن أبى بن سلول ، كما نزل على عمر ، ولكنه لم يجعل من عبد الله الامثلا من أمثله الخسة ، و النفاق، كل هذا صحيح ، ومع ذلك فلا يصح ان يفرق رجل مفكر بين الدين وبين الكفايات الشخصية التى ظهرت على المتدينين

انا ، حين نتحدث عن الحكومات الدينية ، لا نريد الا حكومات رجال هذب الدين نفوسهم ، ونقى قلوبهم ، وصفى اذهانهم ، وهذه هى « الكفايات الشخصية » •• ولست ادرى ما الذى يعنيه الاستاذ المؤلف بعبارة : « الحكومات القومية » (فى مقابلة الحكومات الدينية) فانه ليس فى نظم الحكومات الذى نعرفه نظام بهذا الاسم ، الا ان يكون مراد المؤلف الحكومات الوطنية العنصرية التى تزعم ان شعبها شعب الله المختار ، الذى اصطفاه ليملك باقى الشعوب ، كما كانت تزعم الحكومة الوطنية النازية فى المانيا •• فان يكن هذا مراد المؤلف ، وما أراه الا كذلك ، فانه لا شغل له فى التعرض للتأليف فى الدين ••

للاسلام طراز حكم خاص •

والاستاذ المؤلف لا يرى : « أن هناك طرازا خاصا من الحكومات يعتبره الدين بعض أركانه ، وفرائضه ، بحيث اذا لم يقم يكون قد انهد منه ركن ، أو سقطت فريضة » •• والذين يعرفون أغراض الدين يرون غير ذلك •• ولو قد جود المؤلف كلمة « لا اله الا الله » ، قبل التصدى للتأليف فى الدين لعرف ان هناك حكومات بعينها يفرضها الاسلام ، ولا يرضى عنها بديلا ، وتلك هى الحكومة التى تعمل وفق تعاليم القرآن التى تقول ان الارض مائدة الله ، وان الخلق جميعهم ، وعلى اختلافهم ، عياله ، وانهم ، على مائدته ، سواء ، لا يتفاضلون الا بالتقوى ، وان مسبر التقوى العمل على نفع

عيال الله فى الأرض •• فان كان هذا المعنى بعيدا على مؤلف يتخبط مثل هـذا التخبط ، فـان هناك معنى أقرب منه وهـو ان الله تعالى يقول : «فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم» والذى أنزل الله انما هو القانون الأزلى •• وان الجماعة المأمورة بالاحتكام الى القانون الأزلى لجماعة قـد عين لهـا نوع حكومتها •• فان هى تعدته الى سواه فقـد أحدثت حدثا أصبح الدين معه «وقد انهد منه ركن ، أو سقطت فريضة» على حد تعبيرك ••

اهداف حكومة الاسلام •

وليست أهداف الداعين الى النظام الدينى كما تخيلها المؤلف ، ثم ذهب يناقشها •• لا !! ولا كرامة !! وأقل ما يقال عـن أولئك الداعين ان نظـرتهم انسانية ، وليست وطنية •• وان أهـداغهم ايجابية ، وليست سلبية •• والباعث على الدعوة الى النظام الدينى هو ان العالم فى حيرة مطبقة ، لا يخرجه منها الا مدنية جديدة تنتج من لقاح المادة بالروح عند لقاء المدنية الغربية المادية بالمدنية الشرقية الروحية •• وليس لهـذه الأخيرة وجود الا فى المصحف •• وهذه المدنية الجديدة ، بما تمجد مـن القيم ، ستجعل الانسان سيدا للآلة التى اخترعها لاخادما لها ـ سيدا يستخدم الآلة فى نفـع نفسه ، ونفـع الانسانية ، لاخـادما تجره الآلة مسلوب الارادة ، وتجر الانسانية معه ، الى موارد الحتوف •• هـذه المدنية الجديدة هى التى ستبطل الحكومات الوطنية العنصرية الحاضرة التى هى السبب المباشر للحروب والشرور ، وتنشىء مكانها حكـومة عالمية ، توحد الانسانية ، وتفيض عليها السلام ، والحرية ، والعـدل ، على هدى القانون الازلى الذى سارت على هداه الحياة من ظلمات العدم السحيق الى اشراقات الوجود الزاخر بالشعور ••

بين الزكاة والصدقة ٠

فاذا نحن تركنا مسألة «الدين والدولة» وجدنا أن المؤلف قدتورط فى خلط مؤلم بين الزكاة والصدقة ٠٠ ان الزكاة أصل من أصول الدين التعبدية ، وهى تتعلق بالنفس البشرية ، وتتصل بالعبادة الفـردية ، كالصلاة تماما ٠٠ والمراد بها تطهير القلب من شوائب الشرك ، ومذموم الطباع ٠٠ « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيمة » ٠٠ أى النفس المستقيمة ٠٠ و « قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » ، اشارة الى النفس البشرية ٠٠

فأما الصدقات فهى هذا الجانب الغليظ من الزكاة الـذى لا يستطيع العقل البشرى ، فى بدء الرسالة ، أن يدرك أدق منه ٠٠ ومرادها تطهير القلب من نهمة الحرص على المال ٠٠ وهى تزكية تنضع النفوس الغليظة ولا ريب ٠٠ ولقد فرضت على الناس بمقاديرها المعروفة فشقت عليهم ، حتى لقد كانت السبب المباشر فى ردة من ارتد من العـرب بعد موت محمـد ٠٠

فالزكاة ، بهذا المعنى ، ليست الزكاة التى هى أصل تعبدى ٠٠ وستلغى عندما تستغنى المجموعة عنها ، فى التشريع الدينى المقبل ، المستمد مـن القرآن ، للعالم الحديث ، لأن النفوس الآن تستطيع أن تستيقن ، فى ظل النظم العادلة ، ان مازاد عن حاجتها مـن المال ليس لها فيه حـق الاكتناز ٠٠ وانما هو حق المجموعة ، تصرفه الى المحتاج اليه من الافراد لا فى صورة شىء للا شىء ، وانما فى صورة تنظيم اقتصادى ، اجتماعى ، يهدف الى جعل المساواة فى الفرص ، بين جميع افراد الأمة ، مكفولة ٠٠ والقول الفصل فى نظام الصدقات ، المشروع فى الاسلام الآن ، انه نظام قد املته حاجة المجموعة الاسلامية منذ القرن السابع ٠٠ ولقد ظل يخدم

تلك المجموعة ، أتم خدمة ، ما تمسكت به ، وهو يوشك أن يستنفد الحاجة الى بقائه فى مجموعة القرن العشرين ٠٠ ولكنه ، علـــى التحقيق ، لم يستنفدها بعـــد ٠٠ وذلك لأن فى مجموعة القـــرن العشرين من هم فى مستوى مجموعة القـــرن السابع ، ومن هـــم أحط منها مستوى عقليا ، وخلقيا ، واجتماعيا ٠٠ ولقد يصلح هذا النظام للتطبيق فى فترة الأنتقال من الديمقراطية الرأسمالية الى الديمقراطية ٠٠ فاذا تم الانتقال لجميع طبقات الأنسانية ، وتحققت المساواة فى الدخل بين جميع الأفراد ، فانه سيموت موتا طبيعيا ٠٠ هذه هى حقيقة الأمر :ـــ فهل يجند رجل يعلم أسرار التشريع الاسلامى نفسه للهجوم على مثل هـــذا النظام ، بخيله ورجله ، كما فعل المؤلف ؟؟

أما بعد فهل تريدون الحق ؟؟

ان مؤلف ((من هنا نبدأ)) ٠ رجل غير عالم ، من أى النواحى أتيته : هو غير عالم بأصول الدين ٠٠٠ غـــير عالم بسير التاريخ ٠٠ غـــير عالم بمبادىء السياسة ٠٠ فلا يستهوينكم الشيطان باتباع الذين لايعلمون ٠٠

محمود محمد طه ـــ رفاعة

القوانين الوضعية والقوانين السماوية
تعقيب على اللواء محمد نجيب

٢٥/٨/١٩٥٢

قال محمد نجيب « ولا يزال اللغط دائرا حول تغيير القوانين الوضعية الى قوانين يجب ان تكون شرعية اسلامية ، والحد واضح بين قوانين السماء وقوانين الأرض ٠٠ وللعلماء الأعلام رأيهم الصريح فى أن القوانين الوضعية تستند الى المصلحة العامة ، وهى شريعة الحاكم والمحكوم — ولا اكاد اتصور الا انها دسيسة ٠٠ فهل نقفل البنوك ، والشركات ، لأنها تتعامل بالفائدة ؟؟ وهل تقطع ،من الآن ، وفورا ، يد السارق والخ الخ » انتهى ٠٠

فى اخلاد الناس عن الدين كثير من الغموض ، وشىء من التهويل ، مصدرهما اقتران الحديث عن الدين بالمغيبات ، والنبوات ، وبالسماء ٠٠ وقد آن للانسانية اليوم أن تطرح هذا التهويل ، وان تستجلى هذا الغموض ، لتتبين حقيقة امرها ٠٠ ولست أجد بين يدى مثال ابلغ فى الدلالة على هذا الغموض الذى يكتنف عقول الناس ، وهذا التهويل الذى يباعد بينهم وبين حقيقة الدين ، من هذا الحديث الذى ينسبونه الى « اللواء محمد نجيب » ٠٠

واول ما تنبغى الأشارة اليه ان ليس هنالك قوانين سماء ، وقوانين أرض ، وانما هناك قوانين كاملة ، سرمدية ، ثابتة ، هى القوانين الطبيعية ٠٠ وهى فى الأرض ، كما هى فى السماء ٠٠ وهناك قوانين ناقصة ، منحرفة ، متغيرة ٠٠ هى القوانين الوضعية ٠٠ وهى فى حقيقتها

محاكاة للقوانين الطبيعية ، تقترب من الكمال ، كلما اقتربت مسافة الخلف بينهما •• والقوانين الوضعية اثر من آثار العقول البشرية •• وهى فى تطور مستمر •• وتستهدف فى تطورها القانون الطبيعى ، كمثل أعلــى ، تسعى لمضاهاته •• والقوانين الاسلامية ليست بدعا فى ذلك •• فانها ، فى حقيقتها وضعية •• ونبتت من الأرض •• وكل ما هنالك انها عــرضت على المثل الأعلى ، القانون الطبيعى ، فهذبها ، وشذبها ، ونسقها ، وعطل منها مالا يستقيم مع الاتجاه المستقيم ••

والان بين ايدينا قــوانين ملء الأرض ، وبين أيدينا المثل الأعلـــى للقوانين ــ « القانون الطبيعى » ــ بين دفتى المصــحف •• فواجبنا ان نعرض جميع هــذه القوانين الوضعية عليه ، كما عرض محمــد قوانين عصره •• فما استقام معه منها فهو قانون اسلامى •• وما نشز عنه منها فهو باطل •• وليس الحد واضحا بين قوانين السماء وقوانين الارض ، لسبب واحد بسيط ، هو أنه ليس هناك قوانين ســماء ، وقوانين أرض ، الا فى اوهام الواهمين •• وانما هناك قوانين وحدة ، وقوانين تعدد •• والتعدد طور من اطوار الوحدة ، لا يفصلها عنه فاصل بعينه ••

ولا يميز بين القوانين رجل فيقول : « ان القوانين الوضعية تستند الى المصلحة العامة » الا رجلا متجانفا لاثم ، أو متورطا فى هلكة أو مدلا بباطل ، اذ الام تستند قوانين السماء ؟؟

ان قوانين السماء « الوحــدة » •• فهى تنظـــر إلى الحياة الدنيا ، والحياة الأخرى ، « كوحدة » •• وتسعى لتحقيق المصلحة فيهما معــا ، وان كرهت نفوس الجاهلين •• ولذلك قال الله تعالى « وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم » •• وهذا يسوقنا الى الحديث عن قطع يد السارق ، الذى يتحاماه الناس لجهلهم الحكمة فيه ، والذى وردت الاشارة اليه فى الحديث المنسوب الى اللواء محمد نجيب ••

لقد قرر الكتاب للسرقة ، وللزنا ، وللقذف ، ولقطع الطريق ، حدودا ، ثم درأ الحدود بالضرورة ، فقال : « فمن اضطر ، غير باغ ولا عاد ، فلا اثم عليه •• ان الله غفور رحيم » •• ولا اثم عليه معناها لا عقاب •• فواجب الحكومات ان تزيل الضرورة الملجئة للسرقة •• وان تزيل المغريات المطوعة للسرقة أيضا •• فان سرق سارق نظرت : هل هو مريض ؟؟ فان يكن ، طبت له •• والا يكن ، قطعت يده •• فان فى قطع يده مصلحة له ، لا يدركها الا المستبصرون ••

حكمة قطع يد السارق قائمة على ان ما يحتاجه الجسد موفور للجميع بدون مشقة ، ولا جهد طويل •• وكل ما يحتاج الى المشقة ، وطول الجهد ، ، فليس من حاجة الجسد ، وانما سولته اوهام العقول •• وهناك علاقه حسية ، ومعنوية ، بين اليد والعقل •• فمن عجز بيده قدر بعقله •• فاراد المشرع ان يوقظ العقل بتعجيزه اليد •• فان لم يتفق لمن عجزت يده ان يتيقظ عقله ، فى هذه الحياة ، فانه يدرك هذه اليقظة فى الحياة الأخرى ، على التحقيق ، ويكون الناس قد كفوا شره من هذه ••

تعقيب على تعليق الدكتور محمد النويهى

الخرطوم فى ٦/٩/١٩٥٢

عزيزى الدكتور محمد النويهى •

حفظه الله

نشكر لك ، اجزل الشكر ، جوابك الممتع حقا فى التعليق على كتيب الجمهوريين • ومما لاشك فيه ، ان ملاحظاتك عليه قيمة ، تستحق المناقشة ، والتعقيب •

وقولك عما ورد فى مبدأ الجمهوريين عن الحرية الفردية المطلقة (ولست أدرى أتعنون الحرية الفردية المطلقة أم انساق القلم انسياقا انشائيا — فاننى لا أومن بالحرية المطلقة للفرد فى أى مجتمع منظم ولا أصدق بامكان تحقيقها — ولو تحققت لاستحال المجتمع الى فوضى تامة وتهدم فى زمن وجيز) •

نحن نعنى الحرية الفردية المطلقة ، والتعليل يسير ، ذلك ان كل فرد من افراد المجموعة يختلف عن كل فرد آخر ، تمام الاختلاف • وكمال كل فرد هو أن يكون نفسه — هو ان يحقق فرديته التى تميز بها عن سائر افراد القطيع البشرى •• وهذا يقتضى تحرير الفرد تحريرا كاملا عن كل الاعتبارات الخارجية ، فلا يتقيد الا بقيود مداركه ، وفهمه ، وشعوره ، وليست الحرية الفردية المطلقة متناقضة مع قوانين الجماعة ، وانما هى

امتداد لها ٠٠ ولا ينالها الفرد الا بفضل المعرفة التى تجعله فوق القوانين ٠٠ لأنه قد ترفع ان يأتى من الأعمال ما يؤذى صالح الجماعة ٠٠ بل أنه قد وظف نفسه لصالح الجماعة بل انه ليترك مالا بأس به ، خوف ما به بأس ٠٠ ذلك انه موكل بالتجويد ٠٠ ولا تمنح قوانين الجماعة ، التى ستظل قائمة ، الفرد الحرية المطلقة ، الا فى معنى أنها تعنى بتعليمه تعليما يمكنه ، فى آخر الأمر ، من التمتع بتلك الحرية ، بفضل ترفعه عن صغائر الاعمال ، التى تضعه تحت طائلة القوانين ٠٠

الفرد الحر حرية مطلقة لا يخضع لقيود القوانين ، وانما يخضع لقيود الأخلاق ، وهى أدق من قيود القوانين ، وفى الخضوع لها ، وفى التقيد بها الحرية المطلقة ٠٠

وقولك فى تفسيرنا لقوله تعالى : (« وكذلك جعلناكم أمة وسطا » ، أى وسطا بين تفريط الغرب المادى ، وافراط الشرق الروحانى) : « بأن هذا التفسير ، بهذا الوضع ، غريب جدا ، لأنه ، حين نزلت الآية ، لم يكن هناك غرب مادى ، أو غير مادى ، كما نفهم الآن ٠٠ ومعنى الآية المقصود فى القرآن أمة وسطا بين تطرفات الأديان الأخرى » فهو قول لا يخالفنا فيما ذهبنا اليه ٠٠ تقول : « ومعنى الآية المقصود أمة وسطا بين تطرفات الأديان الأخرى » وهذا حق ، وحق أيضا ان الاديان المقصودة هنا هى اليهودية ، والنصرانية ٠٠ وطابع اليهودية المادية ، وطابع النصرانية الروحية ٠٠ وفى كليهما تطرف فى ناحيته ٠٠ ولا عبرة بالقول بأنه : « لم يكن ، حين نزلت الآية غرب مادى أو غير مادى ، كما نفهم الآن » ٠ وذلك أن القرآن لا يتقيد بما كان يعرف وقت نزوله من المعانى ، وانما هو مطلق ، ويحتمل الأستخدام فى المعانى المحدثة ، التى تناسب المشاكل القائمة ، فى كل زمان ومكان ٠٠ قولك :

(ثم ان مقابلتكم بين تفريط ، وافراط ، ليس استعمالا صحيحا ، ولا اظنكم تقصدونه •• فاذا تأملتم قليلا وجدتم ان الغرب لا يوصف بالتفريط المادى ، وانما يوصف بالافراط المادى ــ وهذا بالطبع ما تقصدونه ــ كما يوصف الشرق بالافراط الروحانى •• اذن لا سبيل لكم الى استعمال المقابلة ، بل ينبغى أن تقولوا : « افراط الغرب المادى وافراط الشرق الروحانى ») قول صحيح ، لو أنا اردنا ما أردت •• ولكنا اردنا ان نقول ان الغرب المادى فرط فى الروحانية •• وان الشرق الروحانى افرط فى الروحانية •• وواضح ان « المادى » ، و « الروحانى » ليستا صفتين « لتفريط » ، و « افراط » ، وانما هما صفتان ملازمتان ، غير مزايلتين ، « للغرب » و « للشرق » •• الغرب المادى ، والشرق الروحانى •• وكذلك قلنا « تفريط الغرب المادى » و « افراط الشرق الروحانى » •• ويشفع لنا فى ذلك ما جاء فى حديثنا فى المذكرة النفسيرية التى منها اخذت الجملة موضوع النقاش : « الفلسفة الاجتماعية التى تقوم عليها تلك المدنية الجديدة هى ديمقراطية ، اشتراكية ، تؤلف بين القيم الروحية ، وطبائع الوجود المادى ، تأليفا متناسقا ، مبرأ ، على السواء ، من تفريط المادية الغربية ، التى جعلت سعى الانسانية موكلا بمطالب المعدة والجسد •• ومن افراط الروحانية الشرقية التى اقامت فلسفتها على التحقير لكل مجهود يرمى الى تحسين الوجود المادى بين الاحياء » •• قولك : « فى ص ٥ تجدون فى بند ٤ الملكية الفردية التى تسمحون بها مقتصرة على ملكية المنزل ، والحديقة حوله الخ •• وهذه فى نظرى ليست اشتراكية ، ولا اعرف مذهبا اشتراكيا متطرفا لهذا الحد فلعلكم تعيدون النظر الدقيق بما تقصدونه » قول صحيح ، ومهما يكن من الأمر فان الملكية ينبغى ان تستقيم مع الحرية الفردية ، فلا يملك الرجل الرجل •• ونحن لم نقصد بتحديدها الا الى هذا ، حين قلنا ، فى نفس

البند الذى ذكرته الخ ٠٠ «ما لا يستلزم استخدام مواطـن استخداما يستغل فيه عرقه لزيادة دخل مستخدمه»

قـولك عن البند نمرة ٧ بأنه «تكرار للبند نمرة ٥ ولا جـديد فيه» صحيح ، وسنعيد فيه النظر حين نخرج طبعة جديدة ٠٠ قولك عن الآية «الطيبات للطيبين بدون واو عطف» غير صحيح ، فانها بواو عطف ٠٠

بقى شىء مهم هو قولك : «ولكن اظن ان كتيبكم لا يزيد عن شرح الاهداف، وينقصه رسم المنهاج السياسى ، العملى ، الذى يتخذ لتحقيقها ، ولعلكم تعقبونه بآخر ، يفصل البحث فى المصاعب العملية التى تنشأ فى طريق من يحاول تحقيق هذه الاهـداف ، والوسائل العملية ، للتغلب عليها ، اليكم مثلا حديثكم عن عدم التعاون مع الحكومة المستعمرة الـذى ينتهى الى العصيان المدنى ، لا يخفى عليكم ان مثل هذا الهدف تقوم دون تحقيقه فى بلد كالسودان ، بحالته الحاضرة عقبات جسام ، فما هى ؟؟ وكيف نتغلب عليها بالضبط ؟؟ وماذا يكون تجـاوب مختلف الطبقات مع مثل هـــذه الدعوة ؟؟ وكيف نعالج رد فعلها ؟؟ ماذا يكون تصرف السلطـات وكيف نقابل هذا التصرف ؟؟ كل هذا يحتاج الى بحث مفصل ، ودراسة دقيقة ، وتحقيق ملى» ٠٠ هذا قولك ، وهو قول جميل ، ونقد بصير ، وأنا أوافق انه لن يكفى ، فى الرد عليه ، ان نورد ما جاء فى مذكرتنا التفسيرية : (واما سبيلنا الى تحقيق العصيان فهـو الاســتقتال فى سبيل نشر الدعـوة حتى تتم لنا الوحدة القومية بخلق سودان يؤمن بذاتية متميزة ، ومصير واحد ، يفهم افراده المسائل العامة ، علـى نحو قريب من قريب ، فتزول بذلك الفوارق الوضعية من اجتماعية ، وسياسية ، فترتبط اجزاء القطـر من شماله وجنوبه ، وشرقه ، وغربه ، فيصبح كتلة سياسية واجتماعية ، متحدة الاغراض ، متحدة المنافع ، متقاربة الاحساس)

ولا ما جاء فى خاتمة الكتاب : (ونحن نتقدم بهذه المدنية الى الانسانية جمعاء ٠٠ لا نفرق بين قبيل منهم ، ونعلم ، حق العلم ان علينا لأن نطبقها داخل حدودنا الجغرافية ، قبل ان نتوقع لها استجابة من الآفاق الاخرى ٠٠ وان أول خطوة فى سبيل تطبيقها لهى اجلاء الاستعمار ، اجلاء تاما ، ناجزا ، ولأجلاء الاستعمار لابد من ضم الصفوف ، ولا تضم الصفوف الا اذا فكر الناس جميعا فى شىء واحد ، واحبوا جميعا شيئا واحداً وسلكوا جميعا سبيلا واحدا ٠٠ ولقد نعلم جيدا ان داءنا العضال هو التفرقة التى نشأت من سوء فهم بعض الناس لأغراض البعض — ومرد سوء الفهم هو اختلاف الامزجة والميول ، فى افراد البيئة الاجتماعية الواحدة ، اختلافا كبيرا ، ذلك بأن الامزجة المختلفة تحمل الناس على عادات مختلفة ، وهذه العادات المختلفة تقوى ، بطول المراس ، حتى تصبح حواجز بين الافراد ، تفرق اهواءهم ، وتباعد بين قلوبهم ، وتباين اساليب تفكيرهم ٠٠ فاذا ما عدنا جميعا الى ترسم روح السنة (بتقليد محمد) ، والى الاهتداء بأخلاق القرآن ، فستتوحد بيئتنا الاجتماعية ، وستتشابه عاداتنا ، وستتقارب اساليب تفكيرنا ، وسنلتقى جميعا فى فكرة واحدة ، هى الحرية ، وسنحب جميعا شيئا واحدا هو الكمال ، وسنسلك جميعا طريقا واحدا هو طريق الحق ٠٠ وستلقى علينا معرفة الحق تبعة العمل بالحق ، وأيسر ما يقضى به العمل بالحق عدم التعاون مع الباطل — فانك انت حين تدفع الضريبة لحكومة مستعمرة ، او حكومة مفسدة ، انما تعينها على باطلها ، وتتحمل بذلك كفلا من اصرها ٠٠ وأيسر سبيليك ان تمتنع عن اعانتها ، وتأبى التعاون معها ٠٠ وهذا ما عنينا بالعصيان المدنى ، الذى لا يجلو الاستعمار بايسر منه ، ولا اقل) ٠٠ فانت ترى ان اهم ما لدينا هو نشر الدعوة حتى يتربى الفرد ٠٠ اما كيف

ننشر الدعوة فانه ، كان ، ولا يزال ، ولن ينفك موضع درسنا ، وسننتهى الى رسمه عما قريب ، بعون الله ..

ارجو ان تسمح لى فاكرر شكرى على نقدك المتبصر ، وتوجيهك السديد ..

محمود محمد طه

إعداد الانسان الحر

خطاب الى الدكتور توريز بوديت

مدير عام منظمة اليونسكو

الخرطوم ـ ١٩٥٣ ـ جريدة صوت السودان .

ثلاثة امور وردت فى تقريركم ، لست ابالى ان لم يرد فيه غيرها .. فهى حسبى ، وحسب كل مفكر ... ثلاثة امور ، وسيلتان ، وغاية : اما الغاية فهى « اعداد انسان حر يعيش فى مجتمع عالمى » .. واما الوسيلتان فاحداهما : « التعليم الجديد » ، فى قولكم : « وغير ان ذلك يفرض على البشر ان يدركوا مسئوليتهم فى عالم تلتحم فيه العلاقات الدولية ، فتلقى على الافراد واجبات عديدة ، لا يعدهم للقيام بها الانوع جديد من التعليم » ، وثانيتهما النظام العالمى الذى اشرت اليه اشارة بعيدة بعبارة : « خطة مشتركة » ، فى قولك : « ان البشر يعيشون فى عالم قلق ، لا يكفى فيه ان توفر الحكومات اسباب التربية ، والعلوم ، والفنون ، والاداب ، فى نطاق قومى ، بل ان تضع خطة مشتركة تضمن امداد التقدم الاقتصادى ، والاجتماعى ، فى العالم دون ان تنال من سيادة امة ، أو من خصائصها الثقافية .. فهى بذلك تستوحى المبادىء العالمية ، وتقيم صرح السلام على اسس مستقرة قويمة » .. فانت تريد ان تنجب الانسان الحر ، الذى يعيش فى مجتمع عالمى .. وانت ، لكى تحقق ذلك ، تريد نظاما ، دوليا ، مشتركا ، وان شئت فسمه حكومة عالمية .. وتريد ، الى ذلك ، نوعا جديدا من التعليم .. هذا ما تريد .. ولا عبرة عندى بهذا الحذر الذى تبديه ، عند الحديث عن الحكومة العالمية ، بقولك : « دون ان تنال من سيادة امة » ، فانه جذر دوافعه يمكن ان تلتمس فى هذا الحرص

الشديد الذى يطالعك فى تمسك كل امة بسيادتها الداخلية — والا فانك تعلم ، كما اعلم ، ان الحكومة العالمية لا تقوم الا على الحد من سيادات الامـــم ..

ثورة فى الفكـــر

ان التقدم العلمى ، والصناعى ، قد احدثا ثورة فى التفكير الاجتماعى ، والسياسى ، فى عصرنا الحاضر — ثورة زلزلت اصول العقـــائد ، والآراء الموروثة ، واتجهت بالمذاهب الاجتماعية ، والسياسية ،، اتجاها علميا .. وهذه الثورة لا تزال مشبوبة ، تعتمل فى الصـــدور ، والعقول ، اعتمالا عنيفا ، ما ارى الا انه سينتهى ، آخـــر الامر ، الى نتيجة محتومة ، هى انه لا مندوحة للامم التى تعمر هذا الكوكب الصغير الذى نعيش فيه من ان تدور فى فلك واحد ، على نحو ما تفعل الكواكب السيارة ، فى هـــذا النظام الشمسى ، الذى ماكوكبنا هذا الاقمراً من اقماره ..

هذه هى النظرية العلمية لاجرام العوالم المبثوثة فى الفضـــاء القريب وفى الفضاء البعيد .. وهى هى النظرية العلمية للحيوات التى تعج بهـــا تلك العوالم — الحياة جميعها ، علـــى اختلاف حظـــوظها من الحيوان ، تسعى لغاية واحدة وفق قانون واحد ..

وحـــدة جغرافية

وهذا الكوكب الصغير الذى تعيش فيه الانسانية وحدة جغرافية ، قد ربط تقدم المواصلات الحديثة السريعة بين اطرافه ربطـــا الغى الزمان ، والمكان ، الغاء يكاد يكون تاما ، حتى لقد اصبحت جميع اجزاء المعمورة تتجاوب فى مدى ساعات معدودات للحدث البسيط يحدث فى أى جزء من اجزائه .. يضاف الى ذلك ، ان هذا الكوكب الصـــغير معمور بانسانية واحدة ، متساوية فى اصل الفطرة ، وان تفاوتت فى الحظوظ المكتسبة من التحصـــيل والتمدين .. فينبغى والحـــالة هذه ، بل انه ، فى الحقيقة ،

ضربة لازب ، أن تقوم فيه حكومة واحدة ، تقيم علائق الامم على اساس القانون ، كما تقيم حكومات الامم ــ كل فى داخليتها ــ علائق الافراد على اساس القانون •• وذلك أمر مستطاع ، بل هو امر لا معدى عنه •• فان المتتبع لتطور الحياة يعلم جيدا ان مسألة الوحدة العالمية هى نهاية المطاف المحتومة ، فى اوانها •• على كل حال ، مسألة الوحدة مسالة زمن فقط •• وقد كانت عصبة الامم ، عقب الحرب العالمية الاولى ، خطوة عملية فى هذا الاتجاه •• وها هى هيئة الامم الحاضرة خطوة اخرى •• ولا يزال ، بيننا وبين الحكومة العالمية ، خطوات ، عديدات ، واسعات •• فان استطاع المفكرون ، المثقفون ، من امثالك دمجها فى خطوة ، واحدة ، جريئة ، رجونا ان تنجو الانسانية من جوائح الحروب ، وان تفوز بمغانم السلام ، والرخاء ، من غير ان تنفق طويلا من الوقت ، أو تدفع غاليا من الثمن •

حكومة عالمية :

ما الذى ينقص هيئة الامم لتكون حكومة عالمية ؟؟ ثلاثة امور : الهيئة التشريعية العالمية ، ومحكمة العدل العالمية ، والسلطة العالمية التى توقع الجزاء ، عند الاقتضاء •• وهذه الامور الثلاثة ليست غائبة عنا غيابا مطبقا •• فان لدينا منها النواة •• لدينا ، مكان الهيئة التشريعية العالمية ، القانون الدولى ، وهو يقوم على العادات ، والمعاهدات •• ولا يزال فى المراحل الاولى من تطوره ، وقد اخذ الفقه ، والقضاء ، يكونان مصدرين من مصادره •• ولدينا ، مكان محكمة العدل العالمية ، محكمة العدل الدولية « بلاهاى » ، وهى هيئة تحكيمية ، وحكمها غير ملزم •• واما السلطة العالمية التى توقع الجزاء فهى الدول ــ كل واحدة محتفظة بكامل سيادتها ــ فانها توقع ما جاء فى ميثاق هيئة الامم من عقوبات اقتصادية ، وعسكرية ، على من يخالف القانون ••

لا جرم ان كل هذه الهيئات بدائيات ، بينها وبين الكمال ما بين

الحكومات الوطنية الحاضرة وبين الحكومة العالمية ــ خطوات ، عديدات ، واسعات ــ ان تركت الانسانية لتقطعها باسلوبها المعهود من التطــور الوئيد ، نشبت بينها نواشب التغالب ، فتضورت بالمجاعات ، واصطلمت بالحروب ، وولغت فى الدماء ، وأفسدت فى الارض فسادا كبــــيرا ٠٠ وليس على طلائع البشرية ، فيما اعلم ، واجب يشرفهم اداؤه اكبر من ان يعينوا الانسانية على اجتياز هذه الخطوات ، العديدات ، الواسعات ، اجتيازا هينا ، يسيرا ، سريعا ، فى وقت معا ٠٠ ولا يكون التطور هينا ، يسيرا ، سريعا ، فى وقت الا اذا سار على حداء عقل مستهد جرىء ٠٠

لابد من هيئة تشريعية عالمية تسن من القوانين ما ينظم عــلائق الدول ببعضها البعض ، وتشرف علـــــى الهيئات التشريعية المحلية فى الدول المختلفة ، حتى لا تسن من القوانين ما يتناقض مع القانون الرئيسى الذى تسنه هى ، والذى ، بدوره ، يجب الا يتناقض مــــع القانون الاساسى الذى هو الدستور العالمى ٠٠ وبذلك تكون جهازا يربط بين قوانين الامم المختلفة ، الفرعى منها ، والرئيسى ، ويجعلها منسجمة فى ضرب مــــن الوحدة ينتظمها جميعا ٠٠

ثم لابد من محكمة عدل عالمية ، تنظر فى القضايا الدولية ، فتصــدر احكاما تحترم ، وتنفذ ٠٠ ولابد ، آخر الامر ، من سلطة عالمية ، تنفذ احكام القضاء ٠٠ وستنهض هذه السلطة من اندماج الدول الحالية فى نوع من الوحدة ، ياخذ من سيادة كل دولة ما يحد من سلطان الحدود الحاضرة ، ويلغى الحواجز الجمركية القائمة ، ويجعل الدول الحالية ادارات محلية ، لا تتجاوز سلطتها تنسيق مجهود الجماعات المحلية المختلفة ، فى القطــر الواحد ، فى كــل ، منسجم ، مــؤد الى غاية بعينها ، هى ، فى حقيقتها ، نفس غاية الانسانية فى هذا الكوكب ٠

وقد جاء هنا ذكر الدستور العالمى ، وليس له الآن وجود ٠ ٠ ٠ فما

هو ؟ انه لا يمكن ان يكون هناك دستور عالمي واحد الا اذا قام على الاصول الثوابت التى تشـــترك فيهــا جميع الامم ، وجميع الاجيال ، وتلك هى الاصول المركوزة فى الجبلة البشرية ، من حيث انها بشرية ، ذلك بان تلك الجبلة انما هى نقطة الالتقاء التى يتوافى عندها سائر البشر ، بصرف النظر عن حظوظهم من التعليم والتمدين ــ وللطبيعة البشرية قانون كامن فيها هو ذاته صورة مضاهية لصورة القانون السرمدى الذى يهيمن علـــى الظواهر الطبيعية ، ويسيطر على القوى الصماء ، التى تزحم الوجود ، فلا يخلو منها مكان ــ هو صورة مضاهية لهذا القانون ، ولكنها صــورة معقــولة ، ملطفــة ، انسانية ، تفيض بالانسانية والرقــة واللطف ..

التعليم الجـــديد :

فاذا ما تركنا امر الحكــومة العالمية عند هـــــذا الحـد ونظرنا فى الوسيلة الاخرى ، وهى التعليم الجديد ، استطعنا ان نستمد منها نورا يعين على تحديد الدستور العالمى المنشود ..

ان التعليم الحالى مضلل اشد التضــــليل .. وتضليله نتيجة حتمية للنظرة المعاصر للحياة ، وغايتها .. انا نعيش الآن فى عصر آلى ، تغلغل اثر الآلة فى جميع وجوه نشاطه ، حتى لقـــد تعلم الانسان ان يحترم القواعد الآلية ، وان يمثل الآلة فى انتاجه الادبى ، والفنى ، وان يستمد مثله العليا من دقة الآلة ، ومن قوتها ، ومن صوتها الموقع ، الموزون .. وتبع كل ذلك نظامه التعليمى .. فهو يحــاول ان يخلق نفسه ، بالتعليم والمران ، آلة ، ادمية ، شديدة الدقة ، موفورة الكفاءة ، كثيرة الانتاج .. وكذلك اصبح التعليم مهنيا فى اغلب اساليبه ..

ان « التعليم الجديد » يجب ان يستمد من النظرة الجديدة الى الغاية من الحياة الجماعية : « اعداد انسان حر يعيش فى مجتمع عالمى » .. «انسان حر» من هو ؟؟ هو من حرر عقله ، وقلبه ، من رواسب الخوف ، فنيه جميع القـــوى الكامنة فى بنيته ، فاستمتع بحياة الفكـــر ، وحياة

الشعور .. هذا هو الانسان الحر ، والتعليم المتوجه الى اعداده يعنى ، فى المكان الاول ، بتحرير المواهب الطبيعية مـــن الخرافات ، والا باطيل الموروثة فى العهود السحيقة ..

هناك شىء موروث من لدن درجت الحياة فى ظلمات هـــذا الكوكب فى الماضى السحيق ، وهو متمكن من القلوب البشرية ، رابض فيها ، لا يريم .. ومنطقته منطقة حرام ، محجورة ، يقوم دونها ستار حديدى ، لا يقـــل مناعة من ذلك الستار الحديدى الذى تقيمه روسيا بينها وبين العالم .. ذلك هو الخوف الذى صحب الحياة ، من لدن فجرها ، وسيرها ، وحفزها على التقدم ، والترقى ، وفى نفس الوقت حال بينها وبين الكمال الرفيع الذى هو حـــظ مقدور للانسانية .. ومـــع ان هـــــذا الكمال حظ مقدور للانسانية ، فانها لن تناله حتى تتحرر من الخوف تحريرا تاما ، ذلك بان الخوف هو رأس كل الرذائل ، فهو سبب الفتك ، والعنف ، عند القوى .. وهو سبب الخـــديعة ، والغش ، عند الضعيف .. ومنشأ الخوف هـــــو الصورة الخاطئة ، الشائهة ، التى كـــــونتها فى خلـــد الانسان القسوة المستهترة التى تلقاه بها القـــوى الصماء فى البيئة الطبيعية التى يعيش فيهـــا ..

التحـــرر مـــن الخـــوف

فاذا ما اردنا ان نحرر الانسان وجب ان نحرره من الخوف .. وجب ان نصحح تلك الصورة الخاطئة ، الشائهة ، التى قامت فى خلده عـــــن الحياة ، وذلك بان نعطيه صورة ، صحيحة ، كاملة ، عـــن اصل الحياة ، وعن قانونها ، وعن غايتها ، وان نركز فى خلده هذه الصورة الصحيحة عن اصل الحياة ، وعن اصل الوجود المادى ، الذى يحيط به ، تركيزا تاما .. هذا امر ضرورى ، ولا يغنى غناءه شىء ، اذا كان لابد « من اعداد انسان

حر » •• ولا عبــرة بالتنظيم الاقتصادى ، ولا باتاحة المساواة للناس جميعا ، اذا لم يوجـــد المنهاج التعليمى السليم الذى يخدم غرضنا فى تصحيح تلك الصورة •• ذلك بان المساواة الاقتصادية انما هى وسيلة الى الفراغ ، ولا خير فى الفــراغ الا اذا وجــه توجيها ، مرسوما مقدوراً ، معروف المصادر ـــ والموارد ـــ •• الفراغ لا يصلح الا للاحرار ، فانه لغيرهم مفسدة ••

القـــرآن للجميـــع

ولكن اين نجد الصورة الصحيحة ، عن اصل الحياة ، واصل الوجود ؟؟ ذلك ما من اجله اكتب اليك •• انك ، لابد ، قد سمعت بالقرآن ، وما يقال عنه من انه كتاب المسلمين ، وهذا غير الحق ، فان القرآن كتاب الانسانية جمعاء ، لأنه سيرة الحياة جمعاء •• هذا الكتاب هو قصة النفس البشرية الخالدة فى الجــوهر ، المتقلبة فى الصور المختلفة ، فى الازمنة المختلفة ، والامكنة المختلفة •• فلم يمر عليها زمان قط ، لم تكن فيه فى مكـــان ما ، تبحث عن الخلود •• تريد ان تكون خالدة فى الصور ، كما هى خالدة فى الجوهر ••

هـــذه القصة الطويلة هى قصتى ، وقصتك ، وقصة كـــل فرد بشرى ، ولكنا جميعا نسيناها •• ومعنى اننـــا نسيناها انها رســـــبت فى العقل الباطن ، ثم غطت عليها طبقة كثيفة من الاوهام ، والمخاوف ، التى ورثناها من عهود الجهل ، والخرافات •• وليس لنا الى السعادة مـــن سبيل الا بكسر هذه القشرة الكثيفة التى احكمت سبكها ، وافتنت فى حياكتها ، يد الخرافات ، والاوهام ، والمخاوف ، التى حجبت صور العقل الباطن ، من ان تنعكس على صفحة العقل الواعى ، فتستجلى ، بانعكاسها ، الحقيقة الكبرى ـــ حقيقة الحقائق المحجبة بستائر الانوار ••

وهذه القصة الطويلة التى نبتت فى العقل الباطن مصنوعة مـــن نفس

المادة التى منها صنعت الاحلام •• ومن نفس هذه المادة صنع القرآن ••
وهو لم يصنع الا ليذكرنا القصة ــ القصة العجيبة التى هى دورة كاملة
من دورات الوجود ، من تذكرها علم العلم الذى لا جهل بعده ، وخلد
الخلود الذى لا فناء بعده ••

ان وظيفة التعليم لا تتعدى تذكيرنا بهذه القصة ، البتة •• ولذلك
فالتعليم ، فى حقيقته ، مجهود فردى ، يقوم به كل رجل ، وكل امرأة ،
لتحرير المواهب الطبيعية ــ العقل ، والقلب ــ من الاوهام التى تحول
بينه وبين الحياة السعيدة ــ حياة الفكر ، وحياة الشعور •• ولا يتعدى
واجب الحكومة تنظيم الحياة الخارجية ، على شكل يمكن الفرد ، من
رجل ، وامرأة ، من ان يجد فيه اقل عدد من الصعاب ، واكبر قدر من
التشجيع ، فى سبيل جهوده الفردية ، فى نيل الحرية ــ حرية العقل ،
والقلب •• فاذا كان ذلك حقا ، فقد وصلنا الى الدستور العالمى ••

ونستطيع ان نقول عنه : انه هو الدستور الذى ينظم حياة المجموعة على
اسلوب لا يتدخل فى حياة الفرد ، الا بالقدر الضرورى لصيانة كيان
الجماعة •• وان شئت فقل : انه الدستور الذى يوفق بين حاجة الفرد
الى الحرية الفردية المطلقة ، وحاجة الجماعة الى العدالة الاجتماعية
الشاملة ••

ان الفرد هو مدار الوجود •• وكل شىء مسخر له ، بما فى ذلك النظام
الاجتماعى •• فما ينبغى ان يؤخذ من حريته الا بالقدر الضرورى
لصيانة ذلك النظام ، الذى ، بدونه ، لا يتيسر للفرد الجو الملائم لتحرير
مواهبه ••• هذا ما عن لى ان اقوله ، لك وللانسانية جمعاء ، وهو قول
اريد ان اقدم به الى الانسانية الكتاب ــ كتاب الخلود ــ القرآن ••

خطاب إلى المحامى العام فى الباكستان
بشأن دستور الباكستان والقرآن

نشر بجريدة صوت السودان ١٩٥٣

حضرة الاخ الكريم السيد باهورى ... تحية مباركة طيبة ..

اما بعد : فقد جاء فى صحيفة « صوت السودان » التى تصدر عندنا فى الخرطوم ـ السودان ـ ما يلى : « عرض السيد باهورى المحامى العام فى الباكستان جائزة قدرها خمسمائة جنيه لمن يقدم نصوصا فى القرآن الكريم تصلح لأن تكون الحجر الاساسى لدستور الباكستان الجديد ـ وكان عرض هذه الجائزة ، فى الواقع ، تحديا من السيد باهورى لناقديه على ما كتبه فى الصحف من انه ليس فى القرآن نص صريح ينطبق على احكام الدستور فى اى دولة كانت وكان ذلك ردا على القائلين بأن الشريعة الاسلامية يجب ان تكون قاعدة الدستور ولكنهم فشلوا فى ايجاد نصوص فيها تصلح لذلك الدستور » ..

قولك : « ليس فى القرآن نص صريح ينطبق على احكام الدستور فى اى دولة » قول جرىء على شجاعة لا يخدم الاسلام الا بمثلها .. وهو قول سيساء به من المسلمين الذين لا يعلمون .

صالح لكل زمان ومكان : القرآن صالح لكل زمان ومكان .. هذا قول يردده علماء المسلمين ، وهم لا يفقهون مراده ـ نعم !! القرآن صالح لكل زمان ، ومكان ، ولكن القرآن لا ينطق ، وانما ينطق عنه الرجال .. فان لم يظهر من الرجال من يستنبط منه الاحكام التى تصلح لكل زمان ومكان فسيظل معطلا بين دفتى المصحف ، كما هى الحالة الآن .. والناس يخلطون بين القرآن ، وبين الشريعة الاسلامية ، خلطا وبيلا .. وما ارى

الا أن قد آن لهم ان يتبينوا حقيقة الأمر فيها ..

الشريعة ليست خالدة :ـ وأول ما ينبغى التنبيه اليه هو أن الشريعة الاسلامية ليست خالدة ، وانما هى خاضعة لسنة التطور ، والتجديد .. وهى لم تكن خالدة لأنها ناقصة ، ولا يأتيها النقص من ذاتها ، وأنما يأتيها فى ملابساتها ، ذلك بأنها قد جاءت لخدمة مجموعة بعينها ـ مجموعة بدائية ، بسيطة ، متخلفة ، وقد خدمتها ، أجل الخدمات ، فطورتها ، ورقتها ، ثم اصبحت الآن تعيش فى مجموعة اكثر تعقيدا ، واكثر تقدما ، واصبح علينا ان نتخذ من التشريع ما يتلاءم مع حاجة هذه المجموعة المتمدينة ، المعقدة ، المتقدمة ..

وحين لا تكون الشريعة الاسلامية خالدة ، فان الاسلام خالد .. هو خالد لانه ليس نصوصا صريحة ، ولا تشريعا مقننا .

ليس القرآن تشريعا :ـ

ليس القرآن تشريعا ، وانما هو تنبيه ، ونهج ـ تنبيه الى القوى البشرية المعطلة فى الرؤوس والقلوب .. ونهج للحياة على اسلوب يمكن الفرد من تحرير تلك القوى المودعة فى رأسه وقلبه .

ان القرآن ، فى حقيقته الازلية ، موسيقى علوية ، فهو يعلمك كل شىء ، ولا يعلمك شيئا بعينه .. هو ينبه قوى الادراك ، ويشحذ أدوات الحس فى جميع وجودك ، ثم هو يخلى بينك وبين عالم المادة لتدركه على اسلوبك ، ولتكون منه لنفسك انموذجا تتأثر به فى حياتك اليومية ، بازاء الناس ، والأشياء .. هذا هو القرآن .. وهو ، بهذه الصفة الخالدة ، لا يخضع للتطور ، وانما اليه ينتهى تطور كل متطور ..

ما هو القانون الدستورى ؟

والقانون الدستورى الذى تريده ما هو ؟ تقول انك اردت بعبارة

القانون الدستورى (توزيع سلطة السيادة فى داخل السيادة) وهـــذا اجمال حسن ــ وتفصيله انك تعنى القانون الذى يقرر حقوق الفـــرد فى داخل الدولة ، ويحدد شكل الدولة ، وينظم سلطاتها العامة ، ويبين علاقة هذه السلطات ، بعضها مع البعض الآخر ، وعلاقتها مع الافراد •• وليس من شك ان هذه المعانى جميعا محدثه ، وهى ثمرة تطور نظام الجمـاعة من البســـاطة الى التعقيد ، ومـــن العبودية الى الحـــرية ، ومـن الجهل الى المعرفة ، ومن هضم حق الفـــرد الى الاعتراف به شـــيئا ما •• وليس من شك عندى أن تطور الجماعة سيطرد حتى يجىء اليــوم الذى تبطل فيه الدولة ، كما نعرفها الآن ، من السطوة ، والقوة ، بحيث تصبح عبارة عن جهاز لا يعدو نفوذه تنسيق جهـــود الجماعات المحلية المختلفة ، فى كل متسق •• هذا هو معنى القانون الدستورى ، فمن قال ان الشريعة الاسلامية تنص عليه ، نصا صريحا ، فهو متهم النصـيحة ، مزور فى الكلام ، غير عالم بحقيقة ما يخوض فيـــه •• اما مـــن قال ان القرآن ينص عليه نصا صريحا ، فهو شر مكانا ••

ليست الشريعة قانونا دستوريا :

وفصـــل الخطـــاب فيه ان يقـــال ان الشـــريعة الاســـــلامية قانون ، ولكنها ليست قانونا دستوريا •• وان القرآن ليس قانونا ، وانما هو القانون الازلى ، الذى تلتقى عنده القوانين الوضعية ، مـــن نظامية ، ودستورية ، فى وحدة متسقة •• فان قلت ما معنى هذا ؟؟ قلت هنـــاك قانون عام لا يتغير ، هو مصدر كل القوانين الوضعية ، وهـــذا القانون ليس الا العقل •• هو العقل السليم المستقيم ، الذى لا ينحرف مـــع الرغبة •• هناك عقل ازلى ، كلى ، تخضع له جميع العوالم ، وقانونه هو القانون السرمدى الذى يهيمن علـــى الظواهر الطبيعية ، بما فيها حياة الاحياء •• وهناك عقل محدث ، جزئى ، تخضع له بعض تصرفات الفرد

العاقل ! وقانونه هو قانون العرف ، المنطق ، والمنفعة الباقية ، وهـــو القانون الوضعى الذى تقسر الدولة الصالحة الناس على الخضوع له ٠٠ فاما القانون السرمدى فهو ثابت ، لا يتطور ، لأنه اثر العقـــل الكلى ، القديم ٠٠ واما القانون الوضعى ، ولا يستثنى من ذلك شرائع الأديان ، فلا ينفك يتجدد ، لأنه اثر العقل الجزئى ، المحدث ، الذى يتجاوب مـع البيئة ، ومع الحاجات المادية ، والاقتصادية ، والظروف الاجتماعية ٠٠ وهو ، فى تطوره ، يستهدف القانون السرمدى ، كمثل أعلـــى ، يسعى لتحقيقه ٠٠ وبلوغه ٠

العقـــل عقـــلان :

قلنا : ان حقيقة القانون هى العقل — والعقل عقـــلان : عقل كلى ، قديم ، وهو المسيطر على جميع العوالم ، علويها ، وسفليها ٠٠ وعقـــل جزئى ، محدث ، وهو ما يتمتع به الفرد البشرى العاقل ٠٠ وكمال العقل الجزئى ، المحدث ، ان يطابق ، ويوافـــق ، العقل الكلى ، القـــديم ٠٠ والقرآن هو قانون العقل القديم ، واثره ، وبترسمه يستدل عليه ، ولذلك قلت ، آنفا : ان القرآن منهاج للحياة ، على اسلوب ينبه فى العقل البشرى القوى الكامنة ، التى ان هى الاقبس من العقل الكلى ، القديم ، (الله) ٠٠

الفـــرد الكـــامل :

من هذا يتضح ان غرض القرآن هـــو الفرد الكامل ٠٠ وهـــو هـــو غـــرض الحياة ٠٠ وهـــو يجب ان يكـــون غرض النظام الجماعى « الحكومة » ٠٠ وبمعنى آخر ، القرآن يختط « المثل العليا » ، ويختط المنهاج اليها ويطلب الى الناس السعى الى تحقيقها ، جهـــد طاقتهم ، فى كل زمان ، وكل مكان ، متوسلين الى ذلك بمنهاج القرآن وبوسائل التراث

البشرى ، الفنى ، والعلمى ، والمادى ، الذى يستطيعون ان يضعوا عليه ايديهم •• فأنت الآن رجل مسلم ، مثقف ، قد المت بطائفة صالحة من نتاج العقل البشرى ، وهى طائفة لم تكن ميسورة لآبائك ، واجدادك من قبل ، على التحقيق ، فان انت استطعت ان تضع دستورا ، سمحا ، يكون دعامة تشريع يجعل الحكومة تنظم الحياة الخارجية على شكل يمكن الفرد ، من رجل أو امرأة ، من ان يجد فيه اقل قدر ممكن من الصعاب ، واكبر قدر ممكن من التشجيع ، فى سبيل جهوده الفردية الرامية الى تحرير مواهبه الطبيعية من الاوهام والأباطيل ، فان هذا الدستور هو دستور القرآن •• وبمعنى آخر ، ان أنت استطعت ان تضع دستورا يحقق للفرد الحرية الفردية المطلقة ، وللجماعة العدالة الاجتماعية الشاملة ، فى وقت معا ، فهذا الدستور هو دستور القرآن •• وانت لن تستطيع ان تبلغ من ذلك كل ما يريد القرآن ، لأن القرآن انما يريد للفرد الحرية الفردية المطلقة وهو مطلب لا يتحقق الا حين يطرح الناس ضراوة الوحوش ويتخلون عن قانون الغابة ، فيقوم المجتمع على العدالة الاجتماعية الشاملة ، وعلى الرأى العام السمح ، المتحرر ، الذى لا يضيق بالانماط الفردية المختلفة ، ثم يمارس الأفراد مجهودهم الفردى فى العبادة ، وفى المعاملة ، وفق منهاج القرآن ، وذلك بغرض تحرير عقولهم ، وقلوبهم ، من الأوهام ، والاباطيل ، والخرافات والمخاوف •• وهل تتحقق الحرية الفردية المطلقة للافراد بعد كل أولئك ؟؟ كل حظها من التحقيق ان تكون مستمرة التحقيق ، لأن المطلق ، انما يقع تحقيقه فى السرمد — فى الزمن الذى لا ينتهى ، ولا يتناهى ! ! هذا ولك تحيتى وودى ••

محمود محمد طه

شجرة الزيتون

تعقيب على الاستاذ الجليل عباس محمود العقاد

٢٩/٣/١٩٥٨

عزيزى موسى :ـــ

تحية طيبة مباركة ..

وبعد فقد اطلعت على جوابك الذى حوى سؤالك عن شجرة الزيتون التى ورد ذكرها فى الآيات الخمس التى سـقتها من سور « النور » و «الأنعام» و«النحل» و«التين» و «عبس» ، كما أطلعت على رأى الاستاذ العقاد الذى تفضلت فارسلته لى فى جوابك مع السؤال ، وهو رأى ، كما قلت أنت ، لا يحوى شيئا يحسن السكوت عليه .. والتفاسير التقليدية فى هذا الباب ، لا تبلغ مبلغ الرضا مـن عقـل متطلع .. وأول ما تجب الاشارة اليه هنا أن تفسير القرآن فى سـبحاته العليا ، لا يلتمس الا فى التوحيد .. وقليل جدا من المفسرين ، الفينة بعد الفينة ، يستطيعون أن يردوا هذا المورد الصافى ..

هنالك عبارة صوفية موجزة ، لابد أنك قد سمعت عنها ، وهى قولهم : « ما فى الكون الا الله » .. يريدون بذلك أن التعدد البادى على شخوص المخلوقات المختلفة ، المتعددة ، ان هو الا رمز يشير الى الوحدة ، ودليل يقود اليها .. بل ان التعدد ان هو الا مظهر الوحدة .. وهم يقـولون فى قوله تعالى ، مخبرا عن عباده الصالحين : « يحبهم ويحبونه » ، يقولون

انما يحب نفسه ٠٠ وفى هـذه النقطة أمر دقيق جـدا تاه فى آفاقه أكثر الصوفية ، وهـو التمييز بين التعدد والوحـدة ، او قـل بين الخلق ، والخالق ، الى الحد الذى لا يبطل الشرع ، ولا يوقع فى الشرك ٠٠ ودقة هذا الأمر تأتى من كونه وسطاً بين طرفين ، فمن الصوفية من يرى طرف الخلق ، ويشغل به عن طرف الخالق ، فيتورط فى الشرك ٠٠ وهـو بذلك أقرب الى علماء الشريعة ، الفقهاء ٠٠ ومن الصوفية من يرى طرف الخالق ويذهل عن طرف الخلق ، ويصرف عن معايشة الجماعة ٠٠ وهـو بذلك أقرب الى المحققين ، المجذوبين ٠٠ وكلا الطرفين ناقص ، علـى تفاوت فيه ٠ والكمال هو التوسط بين الطرفين ، حيث يستطاع التمييز الدقيق ، المؤدى ، للتخلص من الشرك الخفى ، والى تنظيم حيـاة المجتمع بتطبيق الشريعة ٠٠

هذا استطراد قصير أردت به الى تقرير حقيقة علمية ، دقيقة ، يقوم عليها التوحيد ، وهى ان الخلق ليسوا غير الخالق ، ولا هم أياه ، وانمـا هم وجه الحكمة العملية ، عليه دلائل ، واليه رموز ٠٠ ومن هنـا نخلص الى قوله تعالى : « والتين ، والزيتون ❊ وطور سينين ❊ وهـذا البلد الأمين » ٠٠ يقول المفسرون فى ذلك أن الله ، تبارك ، وتعالى ، أقسم بهذه الأعيان ٠٠ « والتين » ٠٠ هو المعـروف ، المأكول ٠٠ « والزيتون » كذلك ٠٠ « وطور سينين » جبل بسيناء هو الذى كلـم الله عليه موسى بن عمران ٠٠ وهذا «البلد الأمين» مكة المكرمة ٠٠ ولكن هذا التفسير قريب من القرب ، وهو ما تعطيه اللغة ٠٠ وفى المعرفة الحقيقية ان الله لا يقسم الا بنفسه ٠٠ وهذه الأعيان فى السورة ان هى الا رموز اليه ، تعـالى ، تترقى ، فى سلم ، من القاعدة الى القمة ٠٠ وهو سلم على شـكل هرمى ان صح هذا التعبير ٠٠ وهى ، قبل أن تصل فى سلم الترقى الى مستوى الرمز اليه ، تعـالى ، انما ترمز الى الانسان ، لأنه ، فى هذا السلم ، بينهما — أعنى بين الأعيـان ، وبين الله ، تبـارك وتعـالى ٠ ،

وذلك لأن الله ، تبارك ، وتعالى ، قد خلق الانسان على صورته ، وليس المقصود ، بالطبع الصورة الحسية ، وانما المقصود قرب صفات العبد من صفات الرب ، على حد تعبير السادة الصوفية ٠٠ وجماع صفات الله تعالى هى : العالم ، المريد ، القادر ٠٠ وجماع أسمائه هى : الله ، الرحمن ، الرحيم ٠٠ والنسب الموصول بين الله ، تبارك ، وتعالى ، وبين الانسان انما هو هذه الصفات ، وهذه الاسماء ٠٠ وقدجعل الله ، تبارك ، وتعالى، الانسان عالما ، مريدا، وقادرا ، والفرق بينه تبارك ، وتعالى ، وبين الانسان ، هو أن صفاته تعالى فى جانب الكمال ، وصفات الانسان فى جانب النقص ٠٠ وما عمل الانسان ، فى العبادة ، الا محاولة قطع هذه المسافة التى تفصل بين صفات النقص ، وصفات الكمال ٠٠ والى هذه الأشارة بقول المعصوم : « تخلقوا باخلاق الله ان ربى على سراط مستقيم » ٠٠ وما ذاك الا بترفع العابد عن نقص صفاته ، وتعلقه بكمال صفات الله ٠٠ ويمكن التمثيل ، وتعالى الله عن كل مثيل ، لكمال الصفات بقمة الهرم ، وللنقص بالقاعدة ٠٠ والحق ان هذه الصورة ليست غريبة ، فان قوى البشرية ، المركوزة فى البنية الجسدية ، لها هذا الشكل الهرمى ٠٠ وهى بذلك ذات مستويات لا تقع تحت حصر ٠ ولكن اهمها أربع مستويات ، تشكل هرما صغيرا ، قرب القمة ٠٠ وهذه هى النفس الحيوانية ، والنفس الانسانية ، والنفس الملائكية « الروح » ، و « الروح » ، وهى النفس العليا ، وهى القلب ٠٠ والقلب هو مقرها ، جميعها ، وهو جماعها ٠٠ ولقد وردت الاشارة ، فى القرآن ، الى كل اولئك : فالى النفس الحيوانية قوله تعالى : « وما أبرىء نفسى : ان النفس لأمارة بالسوء » ٠٠ والى النفس الانسانية قوله تعالى : « لا ! ! أقسم بيوم القيامة ❋ ولا ! ! أقسم بالنفس ٠٠ اللوامة ٠٠ » والى النفس الملائكية ــ « الروح » أو « الذكاء » ، قوله تعالى : « ونفس وما سواها ❋ فألهمها فجورها ، وتقواها » والى القلب ، وهو

النفس الكبرى ، قوله تعالى : « يا أيتها النفس المطمئنة * أرجعى الى ربك ، راضية ، مرضية » •• وفى هذه الآيات ، التى نحن بصددها ، رمز الى هذه المستويات الأربع بالأعيان الاربعة ، هكـذا : « التين » النفس الحيوانية ، و « الزيتون » النفس الانسانية ، و « طور سينين » النفس الملائكية ، « الروح » و «هذا البلد الأمين» القلب ••

ولما كان سؤالك يخص « شـجرة الزيتون » فانا نترك جانبا الأعيان الأخـرى •• وقـد وصلنا ، فى اسـتطرادنا ، الى أن « الزيتون » يرمز الى « النفس الانسانية » •• وهى وسط بين « النفس الحيوانية » و « النفس الملائكية » ، ولـذلك قال تعـالى فى سورة « النور » •• « شجرة مباركة — زيتونة — لا شرقية ، ولا غربية » ، أى وسـط بين طرفين : الملك والحيوان •• وهى تنشأ من لقاح الحيوان والملك ، كمـا ينشأ الجنين من لقاح المرأة و الرجل •• وهذا الثالوث هـو قوى العقل الثلاث : الذاكرة — النفس الحيوانية — والخيال — النفس الملائكية — والفكر — النفس الانسانية •• وهذه القوى الثلاث أعنى قوى العقل — وهى الذاكرة ، والخيال ، وبينهما الفكر ، يمكن الحـديث عنهـا من نواح كثيرة •• وانما يهمنى هنا أن أبرز قيمة العبادة ، الاسلامية منها بشـكل خاص ، فى التأثير على تطوير هذه القوى •• نحن كثيرا ما نتحدث عـن جارحتى العقل ، والقلب ، ونقول الانسان الكامل من جمع صفاء الفكر ، وسلامة القلب ، أو ، بتعبير آخر ، مـن استمتع بحياة الفكر ، وحياة الشـعور ، والحـق ان حيـاة الفكـر ، وحيـاة الشـعور ، حيـاة واحـدة ، ذلـك بـان حيـاة الفكـر هى السـبب المباشر ، والوحيد ، لتحقيق حياة الشعور •• وهذه الأخـيرة هى الحياة الكاملة ، وهى المعبر عنها بالدار الآخرة ، أو بالحياة الآخرة ، ولقد قال الله تعالى فيها : « وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ، ولعب ، وان الدار الآخرة لهى الحيوان ، لو كانوا يعلمون » ••

وانما أراد بكلمة « الحيوان » الحياة الكاملة ، وهى حياة الشعور ، وهى ، كما سلف القول ، نتيجة لحياة الفكر •• فكلما صفا الفكر ، كلما اتسعت ، وتعمقت ، حياة الشعور •• والفكر هو بمثابة الولد الذى ينجب بين والدين : الذاكرة ، والخيال •• وكلما نجب الوالدان ، كلما كان الولد نجيبا — بمعنى انه كلما كانت الذاكرة قوية ، ومحيطة ، ودقيقة ، وكان الخيال ، واسعا ، مجنحا ، طليقا ، كلما كان الفكر سليما ، نافذا ، عبقريا ••

والخيال والذاكرة مرتبطان •• وهما يمثلان الماضى والمستقبل •• وكلما رجعت الذاكرة بعيدا فى الماضى ، كلما انسرح الخيال بعيدا فى المستقبل •• والأصل كله الذاكرة — « النفس الحيوانية » •• ولأمر ما سمى « ذكر الله » ذكرا !! ولأمر ما قال الله تعالى : « ولقد يسرنا القرآن للذكر ، فهل من مدكر ؟؟ » أى متذكر !!

وما الذى يتذكره المتذكر ، أو يذكره الذاكر ؟؟ سيقولون لك يذكر « الله » •• ولكن هذا قول يحتاج الى شرح ، وتفسير •• ولست أدرى هل أمضى فى هذا الحديث المتشعب أم اقتصر ؟؟ لعل من الخير أن أكتفى بهذا الآن فى هذا الباب ••

وما أحب أن أختم حديثى دون أن أنبهك الى أمر هام جدا هو أن تفسير القرآن آن له ان يتعمق ، وان يرجع الى أصله الاصيل فى النفس البشرية بعد أن كان متعلقا ، عند جميع المفسرين ، بالأعيان المذكورة فى الآفاق البعيدة ، لأنه بذلك يصبح ميسرا للذكر ، معرفا بالنفس ، هاديا الى الله •• وهذه هى وظيفة القرآن بالاصالة •• والله تعالى يقول :

« سنريهم آياتنا — فى الآفاق ، وفى أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق ٠٠ أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد ؟؟ »

ان القرآن علم نفس ٠٠ وهنا قيمته الحقيقية ، ومعناه الأخير ، الذى تفتقر اليه الانسانية ، قاطبة ٠٠ وواجب أهله أن يبينوا ذلك للناس بكل سبيل ٠٠ ويوم تتبين للناس قيمة القرآن الحقيقية سيلزمونه بجـــوع بطونهم ، ومشقة أنفسهم ٠٠

الإله

تعقيب على الأستاذ الجليل
عبّاس محمود العقاد

عزيزى موسى :

تحية طيبة مباركة ،

وبعد ، فأنى ، فى حقيقة الأمر ، لا أزال مشغولا ، ولكن أجدنى قد أجلت الاجابة على سؤالك كثيرا ، ولذلك فلابد من الاجابة ، على نحو من الانحاء ، مهما كانت قصيرة ..

وأول ما يقال فى هذا الموضوع هو أن الكتابة عن « الاله » عمل لا يحسنه غير الصوفية .. فاذا ما أقدم عليه الفلاسفة ، وهم كثيرا ما يقدمون عليه ، فانهم لا يبلغون منه مبلغا به تطمئن القلوب ، وان بلغ منه بعضهم مبلغا به تقتنع العقول ، كما فعل الأستاذ الجليل العقاد .. واقتناع العقول بالله هو بداية اطمئنان القلوب اليه تعالى ، ذلك بأن العقول تدل على الله ، ولاتعرفه .. ولا يكون تمام الطمأنينة الا بالمعرفة .. ولقد فطن السادة الصوفية الى ذلك ، فقالوا : « وجودك ذنب لا يقاس به ذنب » .. يعنون بذلك أعتمادك على العقل فى معرفتك الله حجاب لا يساويه حجاب آخر ، مهما كثف .

ومحك الفرق بين الفلاسفة والصوفية ، أو قل ، ان شئت ، بين علم العقول ، وعلم القلوب ، هو فى أمر التسيير والتخيير .. وهذا الأمر يتضح بجلاء فى قول الأستاذ الجليل العقاد :

(والقرآن صريح كذلك فى حث للناس على الاستعانة بأنفسهم ، والاعتماد على قوتهم ، مع الاعتماد على القوة الالهية فى مقام الدعاء ، والصلاة .. فلا يقبل من أنسان أن يفرط فى مستطاعه ، ومستطاع عمله ،

ولا يحرمه ، مع ذلك ، رجاءه فى معونة القدرة الالهية ، حين لايستطيع ..
وذلك قصارى ما يعطيه الدين ، من قوة الصبر ، وقوة الرجاء ، « يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر ، والصلاة .. ان الله مع الصابرين » ..
فهو يلهم الناس : أن الله لا يخذلهم ، ان نصروا أنفسهم ، ولا يحرمهم الطاقة التى تفوق الطاقة ، حين يتجهون الى الله ، وكل دين لا يكفل لأصحابه هذا الرجاء فهو دين لا معنى له ، ولا حاجة اليه ، وان وجوده، وعدمه ، سواء .. وليس المراد من ذلك ان الايمان بالله قائم على الحاجة اليه ، وأنما المراد به أن الايمان بالله قائم على الايمان بقدرته ، وكماله وعدله ، وسلطانه فى الوجود ، واتصاله بهذا الوجود .. فان لم يكن المعبود كذلك فما هو بأهل للايمان به ، على الاستغناء عنه ، أو على الحاجة اليه) ..

وأول ما تجب الأشارة اليه هو : ان الايمان بالله قائم على الحاجة اليه .. على خلاف ما يرى الاستاذ الجليل .. ولقد نشأ الايمان بالله قبل أن يعرف الله . وقد يبدو هذا القول غريبا،لدى النظرة الاولى، ولكنه حق .. فان الايمان بالله ينبع من حاجة القلوب اليه ، وهى حاجة شعور ، لا حاجة فكر ، وعقل .. نعم ! ان المعرفة بالله تزيد الايمان بالله ، ولكن الايمان ينشأ قبلها .. ويقول الأستاذ : « وانما المراد به أن الايمان بالله قائم على الايمان بقدرته ، وكماله ، وعدله ، وسلطانه فى الوجود » ولا يقوم ايمان المؤمن بقدرة الله الا عن حاجة العاجز الى قدرة القادر .. وهكذا الى آخر الصفات التى ساقها الأستاذ .. والحقيقة أن المعرفة بالله ، التى تزيد ايمان المؤمن به ، انما هى معرفة مبلغ الحاجة اليه .. فأنت ، ان كنت ترى أنك مستطيع فى بعض الأمور، وانك محتاج الى معونة القدرة الالهية حين يواجهك من الأمور مالا تستطيعه ، فانك مؤمن بالله على نحو أتم ممن يرى نفسه مستطيعا دائما ، فان ظهر له من الأمور ما أعجزه فهو لا ينتظر المعونة الالهية ،

وانما ينتظر استئناف القدرة من عند نفسه •• ولكنك أقل ايمانا ممن يرى نفسه غير مستطيع لشئ ، مهما قل ، وانما هو فى حاجة الى المعونة الالهية حتى فى النفس الذى يطلع وينزل •• فمبلغ ايمانك بالله هو مبلغ معرفتك بالحاجة الى الله •• ولقد قال بعض العارفين : لا يتم ايمان أحد حتى يكاشف فى قولة : « لا حول ، ولا قوة ، الا بالله » ومعنى يكاشف أن يعرف ، معرفة ذوق ، معنى هذه القولة •

وقول الأستاذ : « القرآن صريح كذلك فى حث الناس على الاستعانة بأنفسهم ، والاعتماد على قوتهم » الخ الخ •• ليس صحيحا فى نظر العارفين •• فانهم يرون صراحة القرآن فى ذلك انما هى مجاراة « لوهم » الناس ريثما ينقلهم القرآن الى المعرفة التى ينتفى معها « الوهم » •• وقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر ، والصلاة •• ان الله مع الصابرين » ليس معناه الأخير (استعينوا) على مصاعب الحياة ، ولأواء العيش ، وانما معناه الأخير ، والمطلوب بالذات ، « استعينوا » بالصبر ، والصلاة ، على دواعى الجبلة التى تتوهم أنها مريدة ومستقلة بارادتها ، وهو ما أسميته « بالوهم » ••

وهذا الوهم ينقص العبودية لله وينقص الرضا بالله ربا •• ولذلك فقد جاء قوله تعالى ، للنبى الكريم : « فاصبر على ما يقولون ، وسبح بحمد ربك ، قبل طلوع الشمس ، وقبل غروبها ، ومن آناء الليل فسبح ، وأطراف النهار •• لعلك ترضى » والتسبيح هنا المقصود منه الصلوات الخمس ، والعلة المطلوبة وراء الصبر ، والصلاة ، انما هى الرضا ••• الرضا بربوبية الرب ••

يقول الصوفية : الساير الى الله مريد •• ويعرفون الارادة بأنها محاربة العادة •• والعادة هى التى أوحت الينا أننا نملك ارادة مستقلة، يمكن الاعتماد عليها فى حدود •• فاذا زاد الأمر عن تلك الحدود فيمكن

البحث عن عون الله ، عند ذلك ، كما يبدو من كلام الأستاذ ..

ومن خطأ الخوض فى دقائق التوحيد بالعقل وحده نتج خطأ أساسى فى كلمة الأستاذ الجليل العقاد ، وهى قوله : « فالحقيقة أن الزمان غير الأبد .. تنقصه كله ، فلا ينقص من الأبد شىء .. وتزيده كله ، فلا يزيد على الأبد شىء لأنهما وجودان مختلفان فى الكنه ، والجوهر .. مختلفان فى التصور والادراك .. فالأبد وجود ، ولا نتصوره بغير الحركة .. » هذا كلام العقاد ..

الحقيقة أن الأبد زمان ، والحركة فيه كامنة .. فقول الله تعالى : « أو لم ير الذين كفروا أن السموات ، والأرض كانتا رتقا ، ففتقناهما ، وجعلنا من الماء كل شىء حى » .. يعنى أمرا هاما يتعلق بالأبد ، وبالزمان .. ففى الرتق ، قبل الفتق ، يكمن الأبد ، وتكمن ، فى الأبد ، الحركة .. فلما بدأ الفتق ظهر الأبد وظهرت الحركة وظهر الزمان للتو .. فأما الأبد ، فهو الزمن ، بين الفتق بعد الرتق ، والرتق بعد الفتق .. وأما الزمان ، فهو أجزاء الأبد فى تطور الأجرام السماوية ، والأرضية ، منذ أن حصل الفتق ، بعد الرتق ، والى أن يعود الرتق ، بعد الفتق فى نهاية دورة من دورات الوجود هى المعبر عنها بالحياة الدنيا ..

فلكأن الأبد هو الزمان ، فى مجمله ، ولكأن الزمان هو الأبد ، فى نشره ، وتفاصيله ، بين بداية ، ونهاية ، تسير فى طريق لولبى ..

والأمر المهم جدا هو أن وجود الله تعالى خارج عن الأبد ، وعن الزمان .. وليس كما يقول الأستاذ الجليل : « فالوجود الأبدى كامل ، مطلق الكمال » وهو يعنى بذلك ذات الله ــ فانها وحدها الكاملة ، مطلقة الكمال .. ولقد عبر القرآن عن الخلود فى النار بقوله : « خالدين فيها

أبدا » ، فى جملة مواضع ، ثم عبر فى موضع آخر بقوله : « خالدين فيها مادامت السموات والأرض » ، وهو تحديد للأبد بالدورة الوجودية التى تسمى عندنا « بالحياة الدنيا » ، وتبدأ بحركات اجرام النظام الشمسى عندنا وتنتهى بانتهاء تماسك هذا النظام .. والآيات التى ساقها الاستاذ الجليل تدل على أنه يعتقد ان الاله ، والرب ، والله ، شىء واحد ، والحق غير ذلك .. فانما الأمر أمر تعينات ، ومراتب .. فذات الله ، فى صرافتها ، لا سبيل الى فهمها ، على الاطلاق ، لأنها لا تسمى ، ولا تعرف ، ولا يشار اليها .. فهى لا تطيقها الأشارة ، ولا العبارة ، فوقع منها ، بمحض الرحمة ، التنزل الى مرتبة الاسم ، ثم الى مرتبة الصفة ، ثم الى مرتبة الفعل .. فوقعت معرفة العارفين باستقراء اثر الفعل ، وهم الخلائق ، على شتى صورها .

فالذين أنكروا « الاله » لم ينكروا (الله) على الاطلاق ، وانما أنكروا تدخله فى الأفعال الدقيقة التى لا تخرج عن طاقة البشر ، والتى ورد عنها تعبير الأستاذ الجليل على النحو الآتى — « فهو يلهم الناس أن الله لا يخذلهم ان نصروا أنفسهم ، ولا يحرمهم الطاقة التى تفوق الطاقة » ، فقد توهم الناس ان لهم طاقة ، وأنكروا تدخل أفعال الله فى مالهم به طاقة ، فجاء انكار « الله » فى هذه المرتبة ، وهى مرتبة الفعل ، فكان أنكار « الاله » ، ولذلك فان القرآن يقول عن الكافرين :

« ولئن سألتهم من خلق السموات ، والأرض ، وسخر الشمس ، والقمر ، ليقولن الله .. فأنى يؤفكون ! » وذلك لأن هذه الأفعال كبيرة ، وجليلة ، ولا يمكن أن يدخل فى الوهم استطاعة قيام المخلوقات بها وانما هى أفعال « الله » .. أما حركاتهم هم وسكونهم هم ، وكسب عيشهم اليومى فليس « لله » فيه دخل ، فى زعمهم ..

فكلمة : « لا اله الا الله » لا تعنى ، كما يقول الفقهاء « لا معبود

بحق الا الله » ، وانما تعنى : لا فاعل ، فى الوجود ، لدقيق الافعال ، وجليلها ، الا الله •• تعنى الله خلقكم وما تعملون •• تعنى « قل الله خالق كل شىء » ، « من الآية » ، « أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ؟؟ قل الله خالق كل شىء ، وهو الواحد القهار » ••

ولقد عرف العارفون أن أهل الجنة ، فى الجنة ، يرون ربهم •• وأن أهل النار ، فى النار يحجبون عن ربهم ، ولكنهم لا يحجبون عن « الله » ، على التحقيق ••

وهناك حقيقة غريبة جدا استيقنها العارفون : هى أن القرآن ، فى المكان الأول ، صفات الانسان الكامل ، الذى هو « الله » فى مرتبة « التعين » الأول ، ولا يكون القرآن صفات لصرافة الذات الا عند التناهى ، حيث ينقطع التعبير وينبهم الكلام ، وينتهى الأمر الى ما وراء الحروف التى تفتتح بها السور •• « ألم » •• « كهيعص » •• الى آخر ما هناك مما لا تحتمله اللغة ••

والوجودان اللذان تحدث عنهما الأستاذ الجليل ، حين قال : « لأنهما وجودان مختلفان فى الكنه ، وفى الجوهر ، مختلفان فى التصور ، والادراك •• » ليسا هما وجود « الله » ، فى ذاته ، ووجود المخلوقات ، كما تصور الأستاذ الجليل • وليسا هما مختلفين فى الكنه والجوهر ، كما قال ، وانما هما مختلفان اختلاف مقدار •• فوجود الأبد هو وجود الانسان الكامل الذى يبشر به القرآن •• ووجود الزمان هو وجود البشر ، ومن دونهم من الخلائق التى تحاول ، بجملتها وبأفرادها ، أن تنجب الانسان الكامل •• ولقد عبر القرآن عن الوجودين بقوله تعالى : « انا كل شىء خلقناه بقدر * وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر » •• فالوجود بالقدر هو الوجود فى الزمان ، وفيه تبدو حركة التطور

المستمر ، وهو يطلب ، فى التطور ، واستمرار الحركة ، الترقى الى مقام الأبد •• واليه الاشارة هنا ، بقوله تعـــالى : « وما أمرنا الا واحـــدة كلمح بالبصر » ••

وفى « الأمر » الحركة ، كامنة ، كما سبق قولنا بذلك ، فى عبـــارة الأبد •• ومعنى كامنة أن ترقى « عالم الأمر » ليس بفعل « خارجى » كما هو الحال فى «عالم الخلق» • والى نفس المعنى الاشارة بقوله تعالى: « يمحو الله ما يشاء ، ويثبت ، وعنده أم الكتاب » •• فأم الكتاب هنـــا « عالم الأمر » •• و « يمحو الله ما يشـــاء ، ويثبت » اشارة الـــى « عالم الخلق » والى الحركة المستمرة فيه ، بالترقى وبالتطور ••

وهذان الوجودان كلاهما يطلبان الوجود « الحقيقى » ، وهو خارج الأبد ، على التحقيق ، كما هو خارج المكان ••

فحديث الأستاذ العقاد عن هذا الوجود المطلق ، ووصفه بالأبدية خطأ أساسى فى التوحيد ••

الوقت لا يتسع لاطالة الحديث الآن ، فان رأيت أن فى هذا غناء • كان ، وبها ، والا فأمهلنى حتى أفرغ مما أنا بصدده الآن •• وسأعود ••

المخلص

محمود محمد طه

مشاكل التربية الأساسية في الشرق الأوسط

تعقيب على البروفسير جاك بيرك

السيد البروفسير جاك بيرك ،
استاذ علم الأجتماع بجامعة السوربون ،

سيدى البروفسير ، تحية ..

وبعد : فلقد سعدت ، فيمن سعد ، بالأستماع الى تقديمك الشيق ، البارحة ، بدار الثقافة ، لموضوع « مشاكل التربية الأساسية فى الشرق الأوسط » ولم يسعفنا الوقت ، وقد هاجت الريح ، وانهمر المطر ، بمناقشة هذا الموضوع الحيوى ، مناقشة مستفيضة مما جعل فى نفسى منه شيئا أحب أن أسوق بعضه اليك ، فى هذا الخطاب القصير:

فلقد ذكرت ، يا سيدى البروفسير ، أمورا كثيرة هامة ، قد أعود الى مناقشتها فى فرصة أخرى ، لاسيما اذا تكرم سيدى فنشر على الناس حديثه الموجز ، الشيق فى تقديم ذلك الموضوع الهام ..

سأتعرض فى هذا الخطاب لأمرين ، ورد ذكرهما فى حديثك : أولهما أمر الاضطراب الذى يلف حياة الأفراد ، وحياة الجماعة ، فى الوقت الحاضر .. وثانيهما التوفيق بين ثقافتين : ثقافة موروثة قديمة ، هى ، فى الغالب الأعم ، روحية ، أخلاقية .. وثقافة محدثة هى المدنية الغربية الصناعية الآلية .. ويبدو انك ترد المشكلة الكبرى ، فى التعليم الأساسى فى الشرق الأوسط ، الى صعوبة التوفيق بين هاتين المدنيتين . انى أحب هنا ، بكل احترام أن أقترح على سيدى البروفسير رأيا ، قد يبدو غريبا ، وهو أن التربية الأساسية هذه لا ترتفع الى المستوى الذى

يواجه مشاكلنا الحقيقية ، فى الآونة الحاضرة ، بل ، شر من هذا ، أنهـا تصرفنا عن مشاكلنا الحقيقية ..

غنى عن القول ان مشاكل الشرق الأوسط ، أو مشاكل أى اقليـم آخر ، فى الوقت الحاضر ، لم تعد اقليمية ، على نحو ما كان عليه الأمـر قبـل عشـرين ، أو ثلاثـين سنـة ، مثـلا .. بأن مشـكلة كل أقليم قد أصـبحت الآن جـزء من المشكلة العـالمية ، برمتها ، فهى لا يمكن حلها فى داخل حدود الاقليم الجغرافية وبصرف النظر عـن المشكلة الكبرى ، وانما يجب أن تحل مشكلة كل اقليم على أسلوب يتجه فى نفس الاتجاه الذى بمواصلته ، الى نهايته ، تحل المشكلة العالميـة الانسانية الكبرى .. وهذه المشكلة الانسانية الكبرى تتلخص فى : ان الجنس البشرى ، فى مجموعه مواجه بضرورة المواءمة ، بين حياته ، وبين بيئته ، هذه الجديدة ، التى يعيش فيها ، على هذا الكوكب ، الذى قللت سرعة المواصلات ، التى تمخضت عنها المدنية الغربية الصناعية ، مـن سلطان الزمان والمكان فيه ، الى الحد الذى جعله وحدة جغرافيـة .. فهذه الوحدة الجغرافية تقتضى وحدة فكرية ، تكون نتيجتها المباشـرة حكومة عالمية تحل مشاكل الدول المختلفة على أساس القانون ، كما تحل مشاكل الافراد فى الدولة الواحدة .. وبذلك يتحقق للانسانية السلام ، والرخاء .. وهذه الضرورة التى تواجه الجنس البشرى ، فى جملتـه ، ضرورة ملحة ، ومستعجلة ، ولا تحتمل تسويفا ، ولا ارجـاء .. ذلك بأننا نقف اليوم فى مفترق الطرق : فاما أن نرتفع فى الطريق المؤدى الى الوحدة العالمية ، والحكومة العالمية ، وأما أن يحل بنا ما يحل بكل مخلوق حى فشل فى المواءمة بين حياته وبين بيئته ..

وهذه الوحدة المطلوبة لحل مشاكل الجنس البشـرى على هـذا الكوكب تحل ، فى نفس الوقت ، مشكلة الفرد البشـرى ، التى وردت الأشارة اليها فى حديثك ، لأنها توحد بين ذاته الروحية ، وذاته المادية ،

وتخلق منه كلا ، متسقا ، قادرا على التوفيق بين المظاهر المختلفة ، فى البيئة الطبيعية التى يعيش فيها ، وبذلك تزول الحيرة ، والقلق ، الذى يلف حياة المجتمع البشرى ، والفرد البشرى ، فى وقتنا الحاضر ..

ان التعليم الأساسى ، لا فى الشرق الأوسط وحده ، ولكن فى العالم أجمع ، يجب أن يتجه الى محو أمية المتعلمين، كما يتجه الى محو أمية الاميين ، وذلك باعادة تعليم الرجال ، والنساء ، على هدى جديد ، يجعلهم مواطنين ، عالميين ، صالحين .. أنظر الى محو الأمية التى جاء بها الاسلام فخرجت محمدا ، وأبابكر ، وعمر ، وأضرابهم ، ممن كان بعيد النظر فى حل مشاكله ، ومشاكل مواطنيه ..

ان الاسلام يمحو الأمية بوحدة الفكر المتجلية فى كلمة « لا اله الا الله » ، وهى كلمة سينبثق نورها ، من جديد ، فيعيد الى هذا الكوكب السلام والعدل ، والرخاء ..

ان مشكلة المشاكل فى التربية الأساسية فى الشرق الأوسط هى أن المدنية المادية الغربية بضجيجها، وعجيجها ، قد صرفتنا عما عندنا من جوهر الى ما عند غيرنا من بهرج .. هذا وتقبل ، يا سيدى البروفسير ، مزيد احترامى .

جريدة السودان الجديد بتاريخ ١٢/٩/١٩٥٧

حول رأى
شيخ الازهر
فى الوصول إلى القمر

عزيزى يحى ،

تحيـــة :

وبعد فلقد اطلعت على حديث غريب منشور بجريدة « الرأى العام» الغراء ، بعدد ١٩٥٩/٢/٢٠ ، فى باب « الرأى العام من يوم الى يوم » بعنوان : « رأى شيخ الازهر فى الوصول الى القمر » ••

والحديث غريب • ولا يمكن أن يصدر عن رجل يعرف الاسلام •• وأعتقد انه من حق الشيخ محمود شلتوت ، شيخ الازهـــر ، علينـــا أن نشك فى صحة نسبة هذا الحديث اليه حتى يتبين لنا غير ذلك ••

يقول الحديث المنسوب للشيخ شلتوت : « هذا جانب بشـــرى ، تركه الاسلام ، فى ذاته ، وفى وسائله ، للعقل البشرى •• ولم يحدد لـــه طريقا ، ولم يبين له فيه حقيقة ــ نعم لقد حث الاسلام بوجـــه عام على البحث فى ملكوت الســـــموات والارض ــ فى الشمس ، وآثارهـــا ، ومحورها ، ودورانها •• والقمر ، وآثاره ، ومحوره ، ودورانه ــ وترك ما وراء ذلك للعقل البشرى ، وليس من شأن الديانات الســـــماوية أن تكشف الحقائق الكونية •• »

وهذا الحديث مضطرب ، بادى الاضطراب ، ومتهافت ، ومتـــورط فى خطأ شنيع •• فاما آية اضطرابه فهى تقـــريره فى صدر الجملة ، ان الاسلام ترك أمر محاولة الوصول الى الكواكب الاخرى ، فى ذاتها ، وفى وسائلها ، للعقل البشرى •• ثم تقريره ، بعد ذلك ، ان الاسلام حث ،

بوجه عام ، على البحث فى ملكوت السموات والارض •• ووجه الصواب أن يقال : الاسلام حث على هذه المحاولة ، وطلبها ، وأشتمل عليها ، ولكن كما يشتمل المجمل على المفصل •• ونحن لدينا تجربة فى ذلك بالقوانين الأساسية وبالقوانين الفرعية — فلو ان أحدا قال ان الدستور ترك أمر القوانين الفرعية ، فى ذاتها ، وفى وسائلها ، للعقل البشرى ، لكان خطؤه واضحا ، جليا ، ذلك بأن القنون الاساسى — الدستور — قد وجه القانون الفرعى ، ورسم خط سيره ، وأشتمل عليه ، كما يشتمل المجمل على المفصل والأمر فى هذه كالامر فى تلك •• فالاسلام وجه البحث فى أمر السموات ، والارض ، ورسم لها خط السير ، وأشتمل عليها ، بأكمل مما فعل الغربيون بالعلم المادى وحده •• فهو قد طلب الينا أن نعرف صورها ، وأن نعرف حقائقها المستكنة وراء الصور ، « سنريهم آياتنا ، فى الآفاق ، وفى أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق •• أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد ؟؟ » وهذا الاستطراد الأخير يدلنا على الخطأ الشنيع الذى اشتملت عليه العبارة « وليس من شأن الديانات السماوية أن تكشف الحقائق الكونية » اللهم ان هذا الحديث لا يقوله رجل يعرف طرفا صالحا عن الاسلام ••

والحديث المنسوب للشيخ شلتوت يكشف عن جهل فاضح بالآية الكريمة « يسألونك عن الأهلة ، قل : هى مواقيت للناس ، والحج •• وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ، ولكن البر من أتقى ، واتوا البيوت من أبوابها ، واتقوا الله ، لعلكم تفلحون » •• فالحديث الغريب يقول هنا « والآية تشير الى أن التوجه الى بحث الكائنات ، أو تفسير الشرائع السماوية بالسفن الكونية ، اتيان للبيوت بظهورها • »

ان بعض الناس ينسب لابن عباس أن معاذ بن جبل سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أسرار الأهلة — عن ملكوتها —

منزلت الآية ‎••‎ وهى لا « تشير الى ان التوجه الى بحث الكائنات ، أو تفسير الشرائع السماوية بالسنن الكونية ، اتيان للبيوت بظهورها » ، كما يزعم الحديث المنسوب للشيخ شلتوت ، وانما تشير الى أن سؤال الرسول عن ملكوت السموات والأرض اتيان للبيوت من ظهورها ‎••‎ ذلك بأن وظيفة الرسول انما هى أن يبين للناس الشريعة ليعملوا ، فيتوصلوا بعملهم بظاهر الشريعة الى « الحقيقة » ، وهى الملكوت ، لأن تعريف الدين للناس « بالحقيقة » انما هو نتيجة تجربة فردية يأتيها الناس وفق الشريعة، وليست نتيجة تلقين يتلقاه الناس، وهم متكئون على هينتهم ‎••‎ فمن طلب من الرسول معرفة ملكوت السموات والأرض فقد أتى البيوت من ظهورها ‎••‎ ولقد وردت الاشارة الى « الحقيقة » فى الآية الكريمة بكلمة « البر » ‎••‎ وورد الاشارة الى الشريعة بكلمة « اتقى » ومعناها أئتمر ، وانتهى ، بأوامر الشريعة ، ونواهيها ‎••‎ قوله تعالى : « واتقوا الله لعلكم تفلحون » معناه : تعلموا « الشريعة » عن الرسول ، وأعملوا بها ، لعلكم تفلحون فى معرفة « الحقيقة » التى هى مطلب كل حى ، شعر أو لم يشعر ‎••‎

وفى قوله تعالى : « ولكن البر من اتقى » قرن بين « الحقيقة » « والشريعة » وتلك اشارة لطيفة الى أن الشريعة طرف من الحقيقة .

ولقد وردت جملة فى ختام هذا الحديث المنسوب للشيخ شلتوت هى قوله : « فعلى الناس أن يريحوا أنفسهم من تكلف تطبيق القرآن ، أو تفسيره ، أو احتوائه على مظاهر الكون ‎••‎ فالكون كتاب والقرآن كتاب ‎••‎ والقرآن يدفع بالناس الى الحديث عن مظاهر الكون ، وتقصى سنن الله فيه ، وليس من شأن الرسالات الالهية سوى ذلك ، فلا تحملوها أكثر مما حمله الله لها » .

وهذه الجملة ، أكثر من أى شىء غيرها ، تشككنى فى صحة نسب هذا الحديث الى الشيخ محمود شلتوت ، شيخ الأزهر الشريف ‎••‎ وانى

لاحملك ، يا عزيزى يحى ، عن طريق صحيفتك الغراء مهمة التحقق مـن نسبة هذا الحديث الغريب ، ولو بالاتصال المباشر بينك وبين الشـيخ الجليل ...

هذا واليك منى أزكى التحيات ..

٧ مارس ١٩٥٩ م

أنباء السودان

حول مطلع النور

تعقيب على الأستاذ الجليل عباس محمود العقاد

كوستى فى ٢/١٠/١٩٦٦ م

عزيزى محمد الحسن الطاهر ،

تحية

كنت قد وعدتك بأن أسلمك التعليق على كتاب العقاد « مطلع النور » ، أو « طوالع البعثة المحمدية » ، قبل سفرى الى الخرطوم •• ولم يكن الفراغ الذى عندى كافيا للاطالة فى تعقب الكتاب •• وما أرى أيضا كبير ضرورة لتعقبه ، لأنه ، فى بابه ، جميل •• ويحوى الكثير النافع من قوة الفكر ، وجمال الاسلوب •• وهو بذلك يستحق القراءة الجادة ، فانه كأى من محاولات العقاد ، عليه رحمة الله ، فى الكتابة فى أمور الدين ، لا يكاد الانسان يخطىء فيها الاجتهاد المخلص فى الوصول الى أصول المسائل •• وما يؤخذ على كتاب العقاد ، فى هذا الباب ، أقل مما يؤخذ على كتاب كثيرين ، من علماء الدين •• وأكبر ما يؤخذ على هذا الكتاب انما هو محاولة معرفة أصول الدين عن طريق أدمان الاطلاع على المنقول ، وامعان الفكر فيه ••

الاصول فى الصدور

ان أصول الدين من علم الصدور ، وهو العلم الذى ما يبرزه الا تجويد العمل بعلم المنقول ••

ان ديننا ليس بدين قراءة ، وانما هو دين عمل •• العلم الذى نحتاجه انما هو العلم الذى يحتاجه العمل ليكون عملا صحيحا •• فالعلم

فى ديننا دائما رائد العمل — هو دين علم ، وعمـــل بمقتضى العلم ..
« ان الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، يهديهم ربهم بأيمانهم ، تجرى من تحتهم الانهار ، فى جنات النعيم * دعواهم فيها سبحانك اللهم ، وتحيتهم فيها سلام ، وآخر دعواهم : ان الحمد لله رب العالمين » ..
كأنه قال يهديهم ربهم بعملهم .. فأنت ، فى منطقة العبادة ، يجـب أن تعرف ، من العلم ، مالا تصح العبادة الا به ، ثم تعبــد .. وأنت ، فى مرتبة العبودية ، يجب أن تعرف ، من العلم ، مالا تصح العبودية الا به ، ثم تتخلق .. وأى علم بلا عمل فانما هو علم ابليس ..

علم أصول الدين علم صدور .. ومن زعم غير ذلك انفق العمر فى تيه لا يجنى منه غير القشور ، ويظنها لبابا .. « اتقوا الله ، ويعلمكم الله » .. « اتقوا الله » ، أى أعملوا بأوامر الشــريعة ، ونواهيها .، « ويعلمكم الله » ، يعنى علم الحقيقة ، وهى أصـــول الدين .. وقولة المعصوم : « من عمل بما علم ، أورثه الله علم مالم يعلم » ، يعنى مــن عمل بما علم من الشريعة ، علمه الله مالم يعلم من الحقيقة .. فأصــول الدين ، كما قلنا ، هى العلم الذى تقوم عليه حكمة الامر ، والنهى .. فاذا كتب ، فى أصول الدين ، كاتب كالعقاد ، عليه رحمة الله ، فأنه لا يبـــلغ منها طائلا يكون فيه غناء ، لطالب غناء .. وكتاب العقاد ، رحمه الله ، يتطرق الى أسرار البعثة المحمدية فيقصر ان يبلغ منها القول الفصل ..

العقاد يقارن الاسلام بما سبقه من وثنيات ، ومن ديانات ، ويحاول أن يجعله من عنصر غير عنصرها ، فيقول : « ختمت أيام هذه النبوءات جميعا فى بنى اسرائيل ، قبل البعثة الاسلامية بنحو تسعة قرون ، لـم تتغير خلالها نظرة الناس عامة ، وبنى اسرائيل خاصة ، الى النبــوءة الدينية ، ولم يفهموا النبوءات الاولى ، وما لحق بها ، غير الفهم الذى عهدوه ، فلما ظهرت النبوءة الاسلامية لم تكن تكرارا لتلك النبوءات ،

ولا تطورا فيها ، بل كانت « تنقية » لها ، من كل ما لصق بها من بقايا الكهانات ، والدعوات •• وجاءت بمعنى النبوة ، كما ينبغى أن تكون ، ونفت عنها ما ليس ينبغى لها ، من شوائب الأوهام ، وأولها أنها مرصد للحوادث ، يحمى الطريق ، أو مكتب للتأمين يعارض القوم على الأمان من الأخطار » ••

النبى يعلم الغيب

ثم يقول : « ليس مهمة النبى أن يعلم الغيب ، « انما الغيب لله » فهذه الفقرات التى أخذت عفوا من الكتاب تدل على القصور ، فى فهم الدقائق الدينية ، الذى يتورط فيه كل من يلتمس حقائق الدين فى النقول •• ويهمل الصدور ••

ان فكرة التوحيد ترشدنا الى أن الاسلام هو الدين ، منذ بدء الدين ، ولكنه اتخذ صورا مختلفة ، فكان عند الموحدين ، فى شتى الصور ، وشتى الأمكنة ، وشتى الأزمنة •• ونبوءات بنى اسرائيل ، منفردة ، والتوراة مجملة ، والانجيل ، كل اولئك مظهر للاسلام فى الأزمنة ، حسب مقتضيات ، وحكم ، الوقت ، ذلك لأن الله يبدى ذاته ، لخلقه ، على السنة رسله ، على قدر طاقات الخلق •• وتتطور النبوءات بتطور فهوم الناس •• فالاسلام ، الذى جاء كماله فى الاسلام ، جاءت بدايته قبل آدم •• وانما دخل بآدم مرحلة التوحيد البدائية ، واطرد التطور ، وهو لا يزال سائرا فى مراقى اكتماله ، ولن ينفك الى أبد الآباد •• والعقاد لا يريد للنبوءة الاسلامية أن تكون تطورا للنبوءات السوالف ، وانما يريدها أن تكون « تنقية » لها ، وهو انما أختار هذا التعبير لاعتقاده ان النبوءة الاسلامية اكتملت ، وهى صورة فى نهاية الصور ، وليست مرحلة من مراحل التطور المتصل الحلقات ، من قبل ومن بعد •• ونحن لا نكره له أن يعلم ان النبوءة المحمدية ختمت النبوءآت ، بمعنى ان الارض لا تحتاج الى المامة ملك الوحى بامر مستأنف ،

ولكننا نكره له ، وللناس ، أن يظنوا ان الاسلام غير محتاج الى فهم جديد •• فأن مثل هذا الظن خطأ جسيم ، لم يسلم من التورط فيه كاتب اسلامى على اطلاق الكتاب المسلمين ••

ما هو الغيب

وقولة العقاد : « ليست مهمة النبى أن يعلم الغيب » أدل على الجهل من سابقتها •• وهى ، وحدها ، تكفى لوزن الكتاب كله ، وذلك لأن النبى لم يسم نبيا الا لأنه نبىء بالغيب ، وينبىء عن الغيب •• والغيب فى حقيقته العليا ، وفى أبعد منازله منا انما هو الله — فالله ، تبارك ، وتعالى هو غيب الغيوب ••

والغيب ، فى أدنى منازله منا ، هو الثانية المقبلة ، لانا لانعلم ما خبأ الله لخلقه فيها من تصاريف •• والمخبوء ، من حكمة الله فى فعله ، هو أيضا غيب ، وهو أيضا الله — هو الله فى تعينات الفعل ••

وعن الغيب الذى هو ذات الله ، جاء قوله تعالى : « قل لا يعلم من فى السموات والارض ، الغيب ، الا الله ، وما يشعرون أيان يبعثون •• » •• وهذه معناها « لا يعرف الله الا الله » ، وهى عبارة مشهورة عند السادة الصوفية ••

وعن الغيب الذى هو كمون الحكمة فى الفعل ، جاء قوله تعالى « قل لا أملك لنفسى نفعا ، ولا ضرا ، الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لأستكثرت من الخير ، وما مسنى السوء » •• ومعناها لوكنت أعلم دقائق حكمة الله فى فعله بخلقه ، علم يقين ، لكان عملى كله خيرا ولما تعرضت للشر ، ولما مسنى ، اذن السوء ••

فمهمة النبى أن يعلم الغيب •• ولكن كل النبوءات تقصر عن مدى مهمتها ، ذلك لأن مهمتها غير متناهية •• وكل نبى يعلم الغيب ، ولكن

ما يعلمه ، بالنسبة لما يجهله ، كالعدم بالنسبة للوجود ..

كل ما قلته فى كتاب العقاد هذا ــ وهو كثير جــدا فى قدره ، وان كان قليلا فى مقداره ــ لا يجعل هذا الكتاب فاقد القيمة ، ولا غير مقروء منك ، وانما يضعه فى موضعه ، من انه لا يبلغ من الاصول مبــلغا يغنى أمثالك من طلاب الاصول .. فأرجو لك قراءة موفقة ، وممتعة ، لهــــذا الكتاب اللطيف ، على أن تعرف له حدوده ، من بداءة الأمــر فلا تطلب منه ماليس له ..

محمود محمد طــه

أفي الله شك ؟

رد على الكاتب الشيوعي باكنسكي يابوشي

السيد سعيد أيوب بمدني

يورد السؤال الآتى : ــ

« قرأت لكاتب شيوعى يدعى باكنسكى يابوشى رأيا غريبا فهــــو يقول لو كان الله موجودا لما سمح لنا أن ننبذ الدين ٠٠ فهل تتكرمـــون بالرد على ضلالة هذا الكاتب ؟ ؟ »

فأما أنا فان انكار الشيوعيين لوجـــود الله لا يزعجنى ، وماذاك الا لأنه انكار لا يقوم على علم ، ولا على عقيدة ، ولا على فكر ٠٠ هو لا يقوم على علم لأن العلم المـــادى ، التجـــريبى ، لا يبحث فى ذلك ، ولا ير ى لنفسه القدرة على البحث فيه ٠٠ وهو لا يقوم على عقيـــدة لأن كل العقائد ، عند جميع البشر ، حيث وجدوا ، قامت عن شـــعور عميق بوجود قوة ، وراء كل القوى التى نراها ، ونحســها فشـــيدت المعابد فى جميع الأديان ، على نحو قريب من قريب ، حتى عندما لم تكن هناك اتصالات بين السلالات المختلفة ، فى الأماكن المختلفة ، من هـــذا الكوكب ٠٠ أقول هذا وفى ذهنى ما وجد من معابد وهيـــاكل فى أمريكا الوسطى ، عندما اكتشفت أمريكا لأول مرة فى التاريخ ، فى أواخر القرن الخامس عشر ٠٠

وهو لا يقوم على فكر لأن أبسط التأمل يدل على ان هذا الكـــون العجيب ، الدقيق ، لابد له مـــن موجد ، وما ذلك الا لأنا فى حياتنـــا اليومية ، ما نعرف أمرا من الأمور التى نرتفق بها قد خلق نفســــه ،

وأوجدها ، من غير موجد ٠٠ فليس هناك خبز نأكله فى يومنا قد صنع نفسه بنفسه ، وأعدها لنا ٠٠ وليس هناك كرسى ، أو تربيزة ، أوجدت نفسها بنفسها ، حتى يجوز لنا أن نظن ان السموات ، والأرض وما بينهما ، ، خلقت من غير خالق ٠

فالشيوعيون لا ينكرون وجود الله عن علم ، ولا عن عقيدة ، ولا عن فكر ، لأن كل اولئك يهدى الى وجود الله ، ولا يهدى الى انكاره ٠٠

اكلت حنظلة وخافت من البطيخة

كلما رأيت كلمة صادرة عن شيوعى ، فيها انكار لوجود الله ، تذكرت المثل السودانى : « أكلت حنظلة ، وخافت من البطيخة » ٠٠ وهو مثل يضرب للسائمة فى الخلاء ترعى الكلأ ، فاذا وقعت على حنظلة فأكلتها ، وأمضتها مرارتها ، نفرت من كل شىء يشبهها ، حتى البطيخ على طيبته ، ولذاذته ، وما ذاك الا لشبهه ، فى الظاهر ، بالحنظل ٠٠ وكذلك الشيوعيون ، فأنهم ، حين ثاروا على القيصرية ، والكنيسة التى كانت تساندها ، والتى كان لرجالها نفوذ عظيم فى نفوس الشعب ، وحين أرادوا أن يحرروا الشعب من هذا النفوذ البغيض ، المغرض ، المضلل ، وهم مندفعون فى حماس الثورة ، لم يستطيعوا أن يميزوا بين رجال الدين الفاسدين ، وبين الدين نفسه ، فوصموا كليهما وقالوا : « الدين أفيون الشعوب » وهو حيلة أبتكرها الاذكياء ليصرفوا بها عامة الشعب،من البسطاء ، عن ملاذ الحياة ، بما يمنونهم من ملاذ مقبلة ،وذلك ليخلوا لهم هم الجو ، فيستمتعوا بأطايب الحياة وحدهم ٠٠ ثم ان الشيوعيين أندفعوا فى هذا الرأى الضحل ، واشتطوا فى معاداتهم للدين حتى لقد جعلوا من الشيوعية نفسها دينا جديدا ، فقالوا : « لا اله والكون مادة » يقولون هذا فى مقابل قول المتدينين منذ : « لا اله الا الله » فان أنت سألت ماهى المادة ؟؟ اجابك العلم الحديث ، وخاصة بعد تفتيت الذرة ، « المادة بصورتها التى تدركها حواسنا لا وجود لها البتة ،

وانما هى طاقة فى الفضاء ، دافعة ، وجاذبة ، فان أنت سألت عن ماهية هذه الطاقة اعتذر لك هذا العلم الذى به يتطاول الشيوعيون بأنه لا يدرى ، ولا يهمه أن يدرى ، وانما يهمه ان المادة التى تدركها حواسنا موجودة وجودا يؤثر على معداتنا ، وأجسادنا •• وهذا حسب الشيوعيين •• فأن انت ذكرتهم بقولة المسيح الخالدة : « ليس بالرغيف وحده يحيا الانسان » أخبروك ان هذا « هو أفيون الشعوب » وأنه لا يجوز على ذكاء كذكائهم ، حين جاز على ذكاء عامة البشر ••

الدين غير رجال الدين

فأنت ترى ، من هذا الاستقراء المقتضب ، ان الشيوعيين جهلوا جهلة منكرة ، فعجزوا عن التمييز بين الرجال الفاسدين الذين استغلوا الدين لاغراضهم الخاصة ، وبين الدين كفكرة انسانية أصيلة صحبت الأنسانية من بساطتها الأولى ، وظلت فى جميع الحقب ، تبحث عن حقيقة الحقائق المحجبة بحجب الانوار — تبحث عن « الله » ثم ان الشيوعيين لم يكتفوا بهذا الجهل ، وانما حاولوا أن يجعلوا من الجهل فضيلة ، فأنشأوا عليه مذهبا يقوم على انكار ما جهلوا ، ويفلسف ذلك الانكار •• وصاحبك الذى نحن الان بصدد حديثه يتيح لنا مثالا وافيا من التفكير الشيوعى ، فهو يقول : « لو كان الله موجودا لما سمح لنا أن ننبذ الدين » •• فهو يقيس الله ، تبارك ، وتعالى ، بما يعرفه من صفات زعمائه ، من أمثال استالين ، الذين لا يسمحون بالرأى المعارض •• وما علم ان الله ، تبارك وتعالى ، لا يعارضه أحد ، لا الملحد حين يلحد ، ولا العاصى حين يعصى ، وانما بارادته ألحد من ألحد ، وعصا من عصا ، وآمن من آمن ، والله وراء كل أولئك محيط •• فهو ، تبارك ، وتعالى ، يقول : « وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون » •• فالرجس ، وهو الكفر ، مضروب على الكفار ، بارادة الله المحيطة ، التى سيرت الخلائق ، من الذرارى الى الدرارى ،

ثم لم يخرج عن سلطانها شيء ٠٠ ولقد أراد الله الكفر لعباده لحكمة تعليمية ، ريثما ينقلهم من العموم الى الخصوص ٠٠ أو قل : من الارادة الى الرضا ، كما يعبر الله ، سبحانه ، وتعالى : « أن تكفروا فان الله غنى عنكم ، ولا يرضى لعباده الكفر ٠٠ وان تشكروا يرضه لكم ، ولاتزر وازرة وزر أخرى ٠٠ ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون ٠٠ انه عليم بذات الصدور » ثم اقرأ قوله تعالى لنبيه الكريم : « اتبع ما أوحى اليك من ربك ، لا اله الا هو ، واعرض عن المشركين ❋ ولوشاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا ، وما أنت عليهم بوكيل »

فجهل صاحبك بالله بنى عليه انكار وجوده وليس هذا مثالا منفردا وانما هو صورة من التفكير الشيوعى ٠٠ ألا ترى معى ان الشيوعيين يجهلون ، ثم هم لا يكتفون بالجهل ، وانما يحاولون أن يجعلوا من الجهل فضيلة ؟؟٠٠

وفى الختام اليك منى أزكى سلام ٠٠

محمود محمد طه

جريدة انباء السودان

بين وبين

الدكتور الفاضل مصطفى محمود

*** السؤال الأول :**

هل يمتلك الدكتور مصطفى محمود مؤهلات المفسر العصرى للقرآن ؟؟

الجواب :

مؤهلات المفسر العصرى للقرآن تقوم على أمرين : ان يكون المفسر ملما ، الماما صالحا بحاجة العصر •• وأن يكون عالما ، علما وافيا ، ودقيقا ، بحقيقة القرآن •• فأما حاجة هذا العصر فالى الهداية •• فان البشرية لم تكن ، يوما ، فى التيه، كما هى اليوم •• وسمة هذا العصر هى القلق ، والحيرة ، والاضطراب •• هذا عصر الثورات : الثورة الثقافية ، والثورة الجنسية ، وثورة الشباب ، وكلها دليل على القلق ، والحيرة ، والاضطراب •• هذا عصر « الهيبيز » •• جماعات من الشباب ، من الجنسين ، يزيد عددهم كل يوم ، ويستطير شرهم ، كل يوم ، حتى عم جميع الأقطار •• يقوم مجتمعهم على الرفض ، فهم قد وجدوا مجتمع الحضارة الغربية الآلية مجتمع انتاج ، واستهلاك ، فقد فيه الانسان المعاصر روحه ، وقيمته ، وحريته ، واستحال الى آلة ، تنتج ، وتستهلك ، فرفضوه ، ورفضوا معه كل عرف ، ودين •• فزعوا الى صور من مجتمعات الغابة فهم يلبسون المرقعات ، ويسيرون حفاة ، ويرسلون شعورهم ، ويبيتون

على الارصفة ، وفى الطرقات ، ويستبيحون بينهم من العلائق الجنسية ما ظلت البشرية على صيانته حريصة ، خــــلال تاريخهـــا الطويل •• هم يبحثون عن حريتهم ، وعن انسانيتهم ، وعن فرديتهم ، فلا يجدون غير الضياع ، وغير القلق ، والاضطراب •• فهل عند مصطفى محمــود ادراك واسع لهذه الظاهرة ، واهتمام بها ، وسعى لايجاد الهداية لها ، من القرآن ، بتفسيره العصرى ؟؟

ثم حقيقة القرآن ! ماهى ؟؟ هى العلم المطلق •• وعندما تأذن الله أن يسرع الانسان فى معرفة المطلق نزله من الاطلاق الى القيد ، فكانت، فى قمة القيد ، الاشارة ، وفى قاعدة القيد ، العبارة •• فأما العبارة فهى: « الكلمة العربية » •• وأما الاشارة فهى « حرف الهجاء العربى » وأما حقيقة القرآن فهى فوق الأشارة ، وفوق العبارة •• ثم قال تعــالى فى ذلك : « حم * والكتاب المبين * انا جعلنــاه قرآنا ، عــربيا ، لعلكم تعقلون * وانه ، فى أم الكتاب لدينا ، لعلى حــكيم » فقوله « حــم » اشارة وقوله « والكتاب المبين » عبارة •• وقوله : « انا جعلنــاه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » عبارة تعطى العلة وراء تقييد المطلق •• وقوله : « وانه ، فى أم الكتاب لدينا ، لعلى حكيم » عبارة تحكى ، بقدر طــاقة العبارة ، عن حقيقة القرآن ••

وحقيقة القرآن لا تعرف عن طريق القراءة وانما تعرف عن طريق الممارسة فى تقليد المعصوم ، عبادة ، وسلوكا ، وهــو ما يســمى ، فى أخريات الايام ، بالتصوف •• فهــل عند مصــــطفى محمود قــدم فى التصوف ؟؟ لا ! ولا كرامة !

ان ما أسماه الدكتور مصطفى محمود تفسيرا عصريا للقرآن ليس بتفسير ، على الاطلاق ، وانما هو خواطر •• ولو قد كان للدكتــــور الفاضل قدم فى التصوف لمنعه الورع أن يخوض فيما خاض فيه ، مــن

أمر الدين ، بهذه الخواطر الفطيرة ••

ومهما يكن من الامر ، فأن البشرية اليوم لا تحتاج الى تفسير القرآن ، وانما هى تحتاج الى « تأويله » •• وليس ههنا مجال الخوض فى هذا الأمر ، وانما موعدنا ، مع القراء الكرام ، كتاب ، هو الان تحت الاعداد ، فى الرد على محاولة الدكتور مصطفى محمود لما أسماه بتفسير عصرى للقرآن ••

السؤال الثانى :

التشابه بين الدكتور مصطفى محمود والتفسير المسيحى للكتب المقدسة ؟؟

الجواب :

كان الكتاب المقدس محتكرا فى القرون الوسطى لا يطلع عليه غير رجال الدين ، حتى كانت ثورة مارتن لوثر ، فى القرن السادس عشر ، فكسرت الاحتكار ، وأحدثت ثورة فى الكنيسة ، وأشاعت الكتاب بين عامة المسيحيين ، ثم جاءت بتفاسير ثورية ، متطرفة ، خرجت على التقليد الذى درجت عليه الكنيسة فى روما ، وأخرجت للناس المذهب البروتستانتى المعروف •• ومن يومئذ بدأت الثورة تستطير ، والفرق ، والمذاهب ، تظهر ، والرأى التقليدى فى الدين المسيحى يناجز ، وسلطة البابا تتحدى ، الى يومنا هذا ، حيث تعرضت الكنيسة ، على عهد البابا بولس السادس ، لأعنف ما تعرضت له فى تاريخها الطويل ، من الاختلاف •• هذا هو وجه التشابه بين مصطفى محمود ، والتفسير المسيحى للكتب المقدسة ، على حد تعبير سؤالك ، وهو تشابه بعيد ، ولكنه يقارب بعضه فى أعتبار ان الفهم الدينى ، عند من يسمون أنفسهم رجال الدين ، عندما يجمد ، ويتخلف ، وينشر الارهاب الفكرى ، يحمى به جموده وتخلفه ، يدفع الى ثورة طائشة فى الفكر ، والعمل •• ان تفسير

الدكتور مصطفى محمود يمثل ثورة على جمود الفكر الدينى ، وبداية لكسر احتكار من يسمون أنفسهم رجال الدين عندنا للدين ٠٠ هذا هو التشابه ٠٠

السؤال الثالث :

هل تأتيان ، أنت ومصطفى محمود ، فى موضوع التفسير بجديد ، ام ان الأمر هو عملية اجلاء لوجه كان من قبل مخفيا ؟؟ وهل ثمة علاقة تاريخية بين التجديد فى دعوتك ؟؟ وبين الدعوة المسيحية فى عهود الاصلاح ؟؟

الجواب :

للبدء فى الاجابة على صدر هذا السؤال ابادر فأقرر انه ليس هناك شبه بينى وبين مصطفى محمود ، لا من قريب ولا من بعيد ٠٠ ولو كنت مكانه ما كتبت عن الدين ، ولا تورطت فى هلكة مثل الذى تورط ٠٠ ولمواصلة الرد على صدر هذا السؤال أقرر أيضا ان ما جئت به هو فهم جديد لأمر قديم ، أو قل ، ان شئت ، هو عملية اجلاء لوجه كان من قبل خفيا ، أو كان مخفيا على حد تعبيرك ٠٠ وهذا الوجه الذى كان من قبل مخفيا هو القرآن ، فانه هو الكنز المخفى ، وهو لا يزال بكرا لم يفض الأوائل منه غير ختم الغلاف ٠٠ وهذا هو التفسير ، وما جئت به يتعدى التفسير الى التأويل ، وذلك أمر سترد معالجته فى الكتاب الذى أعده الأن للرد على الدكتور مصطفى محمود ٠٠

وللاجابة على عجز السؤال ابادر فأقرر أن العلاقة التاريخية موجودة ، ولكنها لا تتعدى العلاقة التى تنتظم تاريخ تطور الفكر البشرى ، حين يتسامى ، للفهم الجديد ، كل عهد جديد ٠٠ وأما العلاقة التاريخية ، بمعنى التشابه فى المبنى ، أو فى المعنى ، فانها تكاد تكون منقطعة تماما ٠٠

ان ما جئت به هو من الجدة بحيث أصبحت به بين أهلى كالغريب وبحسبك ان تعلم ان ما أدعو اليه هو نقطة التقاء الاديان جميعها ، حيث تنتهى العقيدة ويبدأ العلم ، وتلك نقطة يدخل منها الانسان عهد انسانيته ، ولأول مرة فى تاريخه الطويل ٠٠

السؤال الرابع :

بهذه المناسبة أين يلتقى المسلم والمسيحى ، بالنسبة لأسس ديانتيهما ؟ وأين يختلفان ٠٠

الجواب :

الاسلام يهودى مسيحى ٠٠ أو قل : هو نقطة الالتقاء بينهما ٠٠ أو قل : هو وسط بين اليهودية والمسيحية ٠٠

فحين تكون اليهودية فى جانب التفريط ، وتكون المسيحية فى جانب الافراط ، يكون الأسلام وسطا بينهما ٠٠ ولقد قال تعالى فى ذلك : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا ، لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا » ٠٠ ومعنى « لتكونوا شهداء » لتجمعوا بين خصائص الناس ، من يمين ، وشمال ٠٠ وكذلك جاء القرآن ، جامعا ، فى سياق واحد ، بين خصائص التوراة ، وخصائص الانجيل ٠٠ أو قل : جامعا بين اليهودية وبين المسيحية ٠٠ قال تعالى فى ذلك « وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا ، وأصلح فأجره على الله ٠٠ أنه لا يحب الظالمين » ٠٠

قوله : « وجزاء سيئة سيئة مثلها » تحكى قول التوراة : « العين بالعين ، والسن بالسن » ٠٠ وأما قوله « فمن عفا ، وأصلح ، فأجره على الله » فيزيد على قول الأنجيل ٠٠ « من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر » ٠٠ ويرتفع الى مستوى قوله : « أحبوا اعداءكم ، باركوا

لاعنيكم ، وصلوا من أجل الذين يسـيئون اليكم ، ويطردونكم » ..
ولقد جاءت شريعة المرحلة الاولى من الاسلام أقرب الى جانب اليهود ، وستجىء شريعة المرحلة الثانية منه أقرب الى جانب النصارى ، وذلك بالارتقـاع ، والتطـور ، من آيات الفـروع ، الى آيات الاصول .. ويومئذ يكون واضحا ، وجليا ، ان ليس هناك خلاف بين المسـلم ،

والمسيحى ، الا خلافا واحدا هو أن المسيحية ، حين أوصت بالتسامى ، والنزوع الى الكمال ، لم تراع الضعف البشرى ، ولم تضع السلم الذى عليه يرقى الانسان ، من الضعف الى القوة ، ومن النقص الى الكمال .. ان المسيحية لم تكن عملية ، وانما كانت نظرية ، فى حين ان الاسـلام قد هيأ السلم الذى عليه يتم الصعود الى الكمال الذى دعا اليه السـيد المسيح ، ثم لم يعد له هذا السلم .. ان الوقوف مع المرحلة الأولى من الاسلام — مرحلة العقيدة — أوهم بعض الذين لا يعرفون حقـائق الدين ان هناك اختلافا بين أصول المسيحية ، وأصول الاسلام ، فى حين أنه ليس هناك ، فى الحقيقـة ، اختلاف .. الا اختلاف مقـدار ... والاسلام ، باختلاف المقدار هذا ، أكمل من المسيحـية ، وأقدر على تحقيق وصاياها فى الحيز العملى التطبيقى .. هذا كل ما هناك ..

السؤال الخامس :

يشهد الوقت الحاضر توفر الرغبة للتعايش سلميا بين الأديان .. الاسلام والمسيحية ، من جانب ، والمسيحية واليهودية ، من الجـانب الآخر .. فهل يمكن أن يتم هذا التعايش دون أن تكون هناك مساومـة على حساب الاديان ؟؟

الجـواب :

التعايش السلمي أدنى ما يطلب من الأديان ، فكيف تكون هنـاك

مساومة على حسابها ، عندما يتحقق التعايش السلمى ؟؟ ان الاديــان مرجوة لتوحيد الناس على المحبة ، لأن الناس أخوة ، مــن أم وأب ٠٠ وقد أغرى بينهم العداوة الجهل بحقائق أمرهم ٠٠ وستسوقهم الأديان الى العلم بعد الجهل ٠٠ ان الأديان كلهــا وحـــــدة ٠٠ وهى ، فى أى مستوى كانت ، انما هى مراحل من الفكرة الكبيرة التى هى الاسلام ٠٠ الاديان كلها هى الاسلام ، تنزل على حكم الوقت ٠٠ تســتوى فى ذلك الوثنيات ، والتعدديات ، والتوحيديات ٠٠ والاسلام معناه الاستسلام الراضى ، فى غير نزاع ، بين العبد والرب ، ولا بين العبد وبقية العباد الآخرين ٠٠ قال النبى : « المسلم من سلم الناس من لسانه ويده » ٠٠ هذا فى معنى قول الرسول : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » أن الناس ، بفضل الله ، ثم بفضل الاســـــلام ، سيعيشون فى ســلام ومحبــة ٠٠

السؤال السادس :

فى تفسير مصطفى محمود للقــــرآن الكثير الذى ورد متفرقا فى كتبك ومحاضراتك ، وهو لديك أكثر تحديدا ، وقوة ، ومــــع ذلك فــان افكاره تجد حفاوة أكبر ــ فلماذا ؟؟

الجــــواب ــ

أما أنا فقـــد بدأت بالجـــانب التطبيقـــى فى العبـــــادة باحياء السنة ، قولا وعملا ، وسلوكا ، منتظرا موعود الله ، حيث قال : « واتقوا الله ، ويعلمكم الله » فلما جرى على لسانى ، وقلمى ، وسيرتى ما علمنى الله من حقائق دينه ، ظنه الناس ليس من الاسلام ٠ وماعلموا : ان ما أقوله ، وأسلكه ، هو الاسلام ، عايدا من جديد ٠٠ وان الغــرابة فى هذا القول ، وهذا السلوك ، انما هى لازمة من لوازم البعث الاسلامى

ولقد حدثنا النبى فقال : « بدأ الاسلام غريبا ، وسيعود غريبا ، كما بدأ ، فطوبى للغرباء !! قالوا : من الغرباء ، يا رسول الله ؟؟ قال : الذين يحيون سنتى بعد اندثارها !! » ..

وأما الدكتور مصطفى محمود فقد جاء ببضاعة مزجاة ، فجازت على مستهلكين لا يحسنون التمييز .. هذا سبب ..

والسبب الثانى هو : « عقدة الاجانب » .. فاننا ، نحن السودانيين ، لطول مارزئنا به من الاذلال ، فقدنا الثقة فى أنفسنا ، وظننا ان خيرا لا يأتى من عند أنفسنا ، ولا من مواطنينا ، وانما الخير يجىء دائما من وراء حدود بلادنا .. هذا هو السبب الآخر ..

أما بعد ، فلا يظنن أحد ، فيما قلت ، جنوحا الى تجريح الدكتور مصطفى محمود ، أو ميلا الى الثناء على النفس ، وانما هو الحق ، فى بساطة ووضوح ، وستمكننى الفرصة ، أن شاء الله ، من تبرير هذه الاجابات فى الكتيب الذى سأصدره فى الرد على الدكتور الفاضل ، وعلى الله قصد السبيل ، ومنها جائر ..



رد على الأستاذ ميخائيل نعيمة

استرعى انتباهى حديث طريف معزو الى الأديب ميخائيل نعيمه عالج فيه ماهية الأدب ومهمته .. أما ماهية الأدب عنـــده فهو المحيط الذى تنصب فيه ، وتلتقى عنده ، جميع المعارف البشرية : العلم ، الدين، الفلسفة ، الفنون الخ .. أما مهمة الأدب فهى « التعبير عن الانسان ، وكل حاجاته ، وحالاته ، تعبيرا جيدا ، صادقا من شأنه أن يســاعد الانسان على تفهم نفسه وتفهم الغاية من وجوده ، وأن يمهد له الطريق الى نهايته » أه . والحقيقة ان فى هذا خلطا ســببه أمـران : التعصب للأدب ، « شأن كل ذى مهنة لمهنته » وسطحية التفكير .. اذ ، الأدب ، فى حقيقته ، لا يبلغ هذا المبلغ ، وان كان يتجه اليه .. فالمســعاة الانسانية كلها ، فى المعارف والعلوم تتجه الى الاســتزادة من الحيـاة لتحقيق حياة الفكر ، وحياة الشعور .. فالمعارف وســائل ، والحياة الخصبة ، المحيطة ــ حياة الفكر الحر ، والشعور المتيقظ ــ هى الغاية.. والأدب ليس خير الوسائل الى تحقيق هذه الحياة ، بل هو لا يمكن أن يفضى اليها ، على الاطلاق ، لأسباب !! منها الأدب لا بقدم اســلوبا للحياة ، وانما يقدم متاعا للفكر ، بما يرصد من تجارب الأديب المنتج.. ومنها ان الأدب لا يعرف قوانين الحياة ، ولا يتســع للتعبير عنها ، حتى يستطيع أن يرشد الى أسباب الاستزادة منهـا ، ذلك بأن حياة الفكر ، وحياة الشعور ، لا تحقق الا بالحياة ، وفق قوانين الحياة .. فالوسيلة التى تفضى اليها يجب أن تقدم من أول وهلة ، اسلوبا للحياة ، واسلوبا للفكر ، وفق قوانين الحياة العليا ، حتى يستطيع الحى باتـــباع تلك

الأساليب ، أن يترقى من الحياة الدنيا الى الحياة العليا ــ حيـــاة الفكر وحياة الشعور ٠٠ وانت لا تجد وسيلة من وسائل المعارف البشرية غير الدين ــ الدين بوجه عام ــ والدين الاسلامى بوجه خاص ، تقـــوم هذا المقام ٠٠ ذلك بأن أكبر عائق فى سبيل تحقيق الحياة العليا ــ حياة الفكر والشعور ــ انما هو الخوف ٠٠ ولا تتجه وسيلة الى تحرير الفرد من الخوف اتجاها مليئا بالنجاح غير وسيلة الدين ٠٠ فاذا أخبرنا أديب ان الدين بمثابة « جدول أو نهر » يصب فى محيط الأدب لم يكن ذلــك الأديب عندنا الا متعصبا للأدب ، سطحى التفكير ٠٠

ويجب التنبيه الى أن الشبه شديد بين الوســائل الأنسانية الى تحقيق الحياة العليا التى هى وحدها الغاية من السعى البشرى فى هــذا الكوكب ، ولذلك صعب التمييز ، وكثر الخلط ٠٠ ولهذا اهتم القـــرآن اهتماما بالغا أن ينفى من الأخلاد أنه شعر ، أو ان محمدا شاعر ، كمــا توهم المتوهمون ٠٠

جريدة صوت السودان ١٩٥٤

هل إنصرف المسلمون عن تقاليدهم ؟

تعقيب على الدكتور طه حسين

كتب ابن البان فى جريدة السودان الجديد :

الاستاذ محمود محمد طه ، رئيس الحزب الجمهورى ، من كبار المهتمين بشئون الدين الاسلامى ، ومن أقطابه المجتهدين فى تطوره ، وتمشيه مع العصر الحديث .. وله فيه من النظريات ، والتفاسير ، آراء وآراء ، طالما احتدم النقاش حولها ، ولما يننه بعد ... التقيت به أمس فقلت له : أثناء المؤتمر الثقافى الاسلامى المسيحى الذى عقد فى « البندقية » أواخر سبتمبر من هذا العام ، فى أثناء هذا الاجتماع حمل المستشرق الانجليزى « فيلبى » على المسلمين فى القرن العشرين ، واتهمهم بأنهم قد تخلوا عن احترام قوانين القرآن ، نتيجة لرغبتهم الشديدة فى محاكاة الغرب .. وقد رد له الدكتور طه حسين الذى كان يمثل مكانة فى الاجتماع فقال : ان أهم خصائص قوانين القرآن هى مرونة أحكامها بحيث تتلاءم مع الأوضاع ملاءمة عملية ، سواء أكان ذلك من الناحية الاخلاقية للفرد ، أو الناحية الاجتماعية ، والسياسية ، والظروف التاريخية ... ولا ريب أن ذلك يفسح المجال لتحقيق نظام ديمقراطى حديث فى البلاد الاسلامية دون الخروج عن قوانين القرآن نصا ، وروحا .. ورجوت الأستاذ محمود أن يحدث قراء السودان الجديد معلقا على حملة المستشرق ، ومعقبا على الدكتور ، فتفضل قائلا :

أما قول المستشرق « فيلبى » : أن المسلمين ، فى القرن العشرين ، قد

تخلوا عن احترام قوانين القرآن ، رغبة منهم فى مجاراة المدنية الغربية ، فحق ، لا يمارى فيه رجل يحترم عقله ٠٠ ذلك بأن المدنية الغربية قد سحرت أعين المسلمين ببهرجها ، واسترهبت عقولهم بنجاح مساعيها فى الحقل المادى ، فتخلوا عن القرآن ، وقوانين القرآن — وأما رد الدكتور طه حسين ، فاخشى أن أقول أنه لا يشرف رجلا مثقفا ، بله (طه حسين) ٠٠ وهو مثل من أمثلة تهرب العاجزين حين يعجزون حتى عن مواجهة عجزهم ٠٠ فطه يقول : « ان أهم خصائص قوانين القرآن هى مرونه أحكامها بحيث تتلاءم مع الأوضاع ملاءمة عملية » ٠٠ وهو قول يعتبر فى هذا المقام أن قوانين القرآن لمرونتها تطابق المدنية الغربية مطابقة عملية ٠٠ ثم يقول بعد ذلك : « ولا ريب ان ذلك يفسح المجال لتحقيق نظام ديمقراطى حديث فى البلاد الاسلامية دون الخروج عن قوانين القرآن نصا وروحا » ٠٠ وهو قول يخدع به كثير من المسلمين أنفسهم حين يطيب لهم أن ينساقوا فى الاتجاهات الغالبة فى يسر ، ولين ٠٠ والحق أن مرونة القرآن لا توصف بالمقدرة على ان تتلاءم مع الأوضاع ملاءمة عملية ، وانما توصف بالمقدرة على أن تتسع ، فتشمل وجوه النشاط الفكرى ، والعملى ، الذى يجد بتطور العقل البشرى ، وبالمقدرة على توجيه هذا النشاط توجيها جديدا ، وصالحا ، كلما ضل طريقه الى غاياته ٠٠ وبتعبير آخر فان القرآن لا يتلاءم مع الأوضاع وانما يعرضها على الوضع الذى لا يرضى به بديلا ، ثم يشذ بها ، ويهذبها ، حتى تسلس له ، وتنسجم معه ٠٠ ومن المألوف أن الأوضاع تحتوى على أخلاط شتى من الصالح ، والطالح ، ووظيفة القرآن وظيفة الميزان الذى يعطى كلا قيمته ، ووزنه ، وينبذ مالا قيمة له ، ولا وزن ٠٠ فمثلا المدنية الغربية التى نعى المستشرق العالم على المسلمين مجاراتها فقدت موازين القيم ، فوضعت المادة قبل كل اعتبار ، وجعلت الرفاهية وكدها من السعى فى

الحياة ، والقرآن حين يعلمنا (لا اله الا الله) يعطينا الميزان الذى بــه نعلم أن المادة ، والرخاء ، والرفاهية ؛ جميعها ، وسائل الى تحقيق حياة الفكر ، وحياة الشعور ••• هى وسائل ضرورية ، يجب الا تحتقر ، ولا تهمل ، ولكن ما ينبغى لها ان تتخذ غاية فى ذاتها ، كما نتخـــذها المدنية الغربية عامة ، والشيوعية ، بوجه خاص ••

وقول الدكتور عند ذكره الديمقراطية الحديثة « دون الخروج عــلى قوانين القرآن نصا وروحا » خطأ ورطه فيه ، اما تمليقه الرأى العــام الاسلامى ، واما جهله بحقيقة الأمــر ، فيما يتعلق بتطـــوير قــوانين القرآن •• والحق الذى لامرية فيه : أن قوانين القــرآن ، فى نصــها وروحها ، انما هى وسيلة •• بيد أن الوسيلة فى روح القرآن ، أقــرب افضاء الى الغاية ، من الوسيلة فى نصه •• ولذلك لا يرى القرآن بأسا بالخروج على النص ، بل ان الخروج على النص عمل يستهدفه التطور ، الذى يرعاه ، ويهديه القرآن •• ولنضرب لذلك مثلا •• فالقرآن نص على قانون الميراث نصا مفصلا ، مع أن روح القرآن تأبى أن تقر من يعرفها ، ويأخذ نفسه بها ، على أن يمتلك ما يورث ، وانما تعلمه ان يصرف عنه ، الى سواه ، كل مازاد عن حاجته••

ان قوانين القرآن ، فى نصـــها ، وسيلة الى روحــه •• وهى بذلك متطورة ، وروح القرآن هى « لا اله الا الله » •• وهى وسيلة ، وشيكة الافضاء الى الغاية منه •• وهى بذلك كالخالدة ، لأنها طرف من الغاية •• والذى يسر لها الخلود مرونتهــا •• وسبب مرونتها شمولها •• وأيسر آيات شمولها صياغتها من نفى واثبات •• ما من شك ان تحقيق النظــام الديمقراطى الحـــديث ، الذى ورد فى رد الـــدكتور ، أمــر يستهدفه الاسلام •• وسيحققه •• وهو ، فى أثناء تحقيقه ، لا يتمسك الا بروح قوانين القـــرآن ، دون نصــها ، وهــذا أمر يحسن بالمسلمين ان يتفطنوا له ••